الجزء الاول المحرم ١٣٣١ السنة الرابعة



مجلة دينية علمية ادبية اجتماعية

منشئها

(الشيخ) عبد العزيز جاويش

تصدر

في آخر كل شهر قمري

٦٠ قرشا عثمانيا في بلاد الدولة العثمانية و٦٠ قرشا مصريا في القطر المصري والسودان
١٥,٥ فرانكا في افريقية الغربية و١٣ شلنا في الهند و٧ روابل في الروسيا

ثمن النسخة خمسة قروش

عنوانها :

استانبول : صندوق البوستة العمومية نمرة ١٢٧

فهرست المجلة



— دار السعادة المحرم سنة ١٣٣١ يناير سنة ١٩١٢ م —

اسرار القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ الى بَعْضٍ قَالُوا
أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ افَلَا تَعْقِلُونَ أَوَلَا
يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَايُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَمِنْهُمْ اُمِّيُّونَ لَايَعْلَمُونَ
الْكِتَابَ الَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ الَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ
بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا
كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ الَّا أَيَّاماً
مَعْدُودَةً . قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَاولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اولَئِكَ اَصْحَابُ

الجنة هم فيها خالدون . وإذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احساناً وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون.)

أرتنا خاتمة الآيات الكريمة هذه أن سنة الله قد خلت فى عباده دون تغيير لها ولا تبديل ان الله لا يخفف العذاب والآلام ولا يكتب النصر لمن يشترون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يؤمنون ببعض أحكام الله التى تطابق شهواتهم ويكفرون بما لا يطابق ميولهم الشيطانية منها

اذا قص الله علينا تاريخ بنى اسرائيل وأوضح لنا جزاء ما كسبت أيديهم من العذاب المهين والخزى العظيم فما ذلك لمجرد تقريع من كفروا برسالة رسولنا ولا لبيان ماجاءه سلفهم من ضروب العناد قديما ودرج عليه خلفهم بغياً وعدواً فقط ولكن هناك مآرب أراد الكتاب الكريم أن يبينها للمسلمين حتى يحذروا عاقبة تفريطهم فى كتابهم واتباعهم شهوات نفوسهم لئلا يصيبهم ما أصاب أولئك الذين جنوا على انفسهم بما حاربوا الله ورسوله وتلاعبوا بآياته وكتبه . فلنبسط هنا ماضمنته تلك الآيات الكريمة من العبر ليعلم المسلمون أنهم ما أصابهم هذا البلاء الذى هم فيه الا لأنهم اتبعوا خطوات بنى اسرائيل خطوة فخطوة غير ذاكرين لما قص الله علينا شأنهم وما ضرب لنا من أمثالهم

بينت الآيات الكريمة أن بنى اسرائيل كانوا فريقين . أحدهما أهل كتاب وعلم ودرس كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه

وتعرفوا أسراره . فلم تنفعهم علمهم ولا درسهم بل اتبعوا وساوس صدورهم وقادوا العامة من أهل ملتهم الى المصارع الوخيمة . كانوا اذا جنح أحدهم الى النصفة والصدق وخبر المسلمين بما جاء فى التوراة من الآيات الدالة على صدق محمد نبيهم أقبل بعضهم على بعض يتلاومون فكان احبارهم أولئك يقرعونهم ويزجرونهم وينكرون عليهم تحديثهم المسلمين بما فتح الله عليهم فى كتابهم التوراة من الآيات كيلا يمكنوا المسلمين من محاجتهم اذا تخاصموا بين يدى الله وحكموا كتبه المقدسة ووحيه الصادق فيما شجر بينهم . يريدون بذلك ان يخادعوا الله ويتغفلوا المسلمين ولا يتقيدوا بأحكام النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته جميعها وهم يعلمون أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون . ذلك كان دأب القارئين الدارسين من اهل الكتاب. اما الفريق الآخر فكانوا أميين لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعلمون الكتاب المنزل عليهم من الله الا ما يطابق أمانيهم وشهواتهم . وكلما سمعوا شيئاً من آيات التوراة الصريحة امسكوا عن الاستمساك والعمل بما فهموه بادىء الرأى منها واتبعوا ما يتلقونه من أفواه احبارهم من التأويل البعيد الذى ينافره منطوق الآيات ويناقضه العلم اليقين . فهؤلاء على جهلهم لو عملوا بما بلغه علمهم القاصر من معانى التوراة لسلموا واحسنوا فان ذلك كل مايكلفهم الله تعالى الذى لا يكلف نفساً الا وسعها ولا يكلف نفساً الا ما آتاها ولكنهم اعرضوا عن كتاب الله وتأثروا خطوات احبارهم ولم يتبعوا الا الظن وما تهوى الا نفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى

ولا يخفى مافى هذه الآية الكريمة من تكليف العامة حتى الاميين منهم

بأن يعملوا بما يفهمونه من كتب الله فلا يجوز أن يصدهم عن العمل بما تبلغه عقولهم من معانى آيات الله مايستمعونه من فتاوى الاحبار والقسيسين والمشايخ فان العامة ليفهمون كغيرهم كثيراً من آيات الآداب والاخلاق وطائفة صالحة من آيات الاحكام فاما مالاتبلغه مداركهم فانهم غير مكلفين بالتنقيب عنه واستيعابه ويكفى من لم يستطع منهم البحث والنظر أن يكتفى اذذاك بما يفتيه العلماء فانه ليس كل انسان مكلفا شرعا بالاجتهاد محظوراً عليه التقليد اذلا يستطيع الاجتهاد الامن توفرت فيهم شرائطه أما غيرهم ممن لايمكنهم الانقطاع الى البحث والنظر والتدقيق والتحقيق فانه لايحرم عليهم التقليد الافى ثلاثة مواضع احدها حيث يفضى التقليد الى الاعراض عما انزل الله من الاحكام وعدم الالتفات اليها عند امكان ذلك اكتفاء بتقليد الآباء والعلماء. ثانيها تقليد من يجهل المقلد انه اهل لان يعتمد على رأيه ويؤخذ بقوله . الثالث التقليد بعد أن تقوم الحجة امام المقلد ويظهر له الدليل على خلاف قول من قلده

(وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الاقال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟)

قال ابن القيم أما تقليد من بذل جهده فى اتباع ماانزل الله وخفى عليه بعضه فقلد فيه من هو أعلم منه فهذا ممدوح غير مذموم ومأجور غير مأذور . أما غير هذا فان عليه ان يرجع اولا الى كتاب الله وسنة رسوله والا يقلد حتى يكون ذلك الذى لم يتمكن من الاستنباط ولم يقطع الحصول

على العلم (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء)
فكما ان وجود علماء السوء واحبار الشيطان كانوا من اسباب سخط الله على بنى اسرائيل ومقته الابدى لهم. كذلك كان اكتفاء العامة بتقليدهم واعراضهم عما انزل الله من الاحكام سبباً آخر لذلك الغضب الحائق والنكال الماحق. ذلك انهم قلدوا طوائف منها من لايسلم من الزلل الذى لايأمن احد من البشر التورط فيه اللهم الا المعصومين ومنها من يحرفون الكلم عن مواضعه ويعزون الى الدين ماليس منه ابتغاء الفتنة او ابتغاء الدنيا (يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلا)

ولا جرم ان اتباع هذه الطوائف ينشر البلاء وينسخ العدل ويمحو آثار الفضيلة ويفضى الى استباحة المحارم كاراقة الدماء واسترقاق الرقاب وسلب الحقوق

فاذا عرض العامة عن الاحكام السماوية المنزلة مكتفين بأحبار الضلال وسماسرة ابليس الذين لايخلو منهم زمان ولا مكان كانوا خليقين ان تفشى فيهم الفتن وتعطل بينهم الحدود وتضاع الحقوق . ولقد جرت عادة المقلدين انهم ينقبون عن رخص المذاهب ويستمسكون بأبواب الحيل تذرعا الى بلوغ امانيهم وشهواتهم فما علمهم بالكتب الالهية بالعلم الصحيح وانما هى امانى وشهوات يريدون بلوغها وتصيدها من طريق الدين. لذلك سمى الله تعالى علمهم بالكتاب المقدس امانى حاولوا الحصول عليها بتلك التأويلات الظنية والتوجيهات الوهمية وان خالفت صريح الآيات المقدسة . فهم من علمهم ان الله حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق

لايفتأون يرجعون الى قادة الضلال من اهل الحيل والفساد ليوجدوا لهم
ذريعة بها يقترفون الفاحشة ويأتون الأثم ويبغون على الناس بغير الحق .
ومن العجيب انهم مع اقتناع ضمائرهم بانهم محتالون مخادعون الله ورسوله
محاربون لدينه يسمعون تلك الذرائع الشيطانية « بالحيل الشرعية » وماهى
الا الحيل الشيطانية . اما المارقون من اهل العلم فانهم يتصيدون بها المال
ومايشتهون من متاع الدنيا واما العامة فان من غريب امرهم انهم يبحثون جد
البحث عن تلك الطائفة ويتركون من عرف من العلماء بالتقوى والورع
والدين فينمون بعلمهم هذا على انفسهم انهم طلاب حيل واحابيل لا طلاب
عدل وحينئذ . ومن هنا كانوا فى نظر الخبيرين باطوارهم واحوالهم
مشاركين لمن يقلدونهم فى آثامهم وقبيح مكرهم بالدين وان كانوا أخف منهم
وزراً واقل اثماً . لذلك خص الله اهل الدرس والقراءة بالويل والهلاك
اذ يقول (فويل لهم مما كتبت ايديهم) من مرذولات الحيل ومقبوحات
التأويل (وويل لهم مما يكسبون) من وراء ذلك من حطام الدنيا
ومتاعها الزهيد

ويعجبنى ماجاء للزمخشرى فى تفسير الكشاف هنا اذ قال: ان الكتاب
الكريم ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام
الذين قلدوهم ونبه على انهم فى الضلال سواء لان العالم عليه أن يعمل بعلمه
وعلى العاصى ألا يرضى بالتقليد والظن مادام متمكنا من العلم اه

ولايخفى ان العلماء المضللين اعظم اثماً وأفظع وزراً ولذلك جاء فى
تهديدهم ايعادهم قوله « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون

هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل
لهم مما يكسبون »

كتب الله ليصيبن الويل والعذاب الشديد اولئك الذين يتأولون آيات
الله بالرأى ويستنبطون الاحكام للعامة من طريق الحيل ليقتنصوا أموالهم
ويشتروا بعهد الله وميثاقه الذى اخذه عليهم فى كتبه المقدسة حطام الدنيا
الزهيد ومتاعها الزائل. ثم زادهم توعداً وانذاراً بقوله على سبيل التأكيد
(فويل لهم مما كتبت ايديهم) من الفتاوى الملفقة والتأويلات الباطلة
(وويل لهم) مما تصيدوه وأكلوه باطلا من حطام الدنيا الحقير

ولقد صدق الله ايعاده فانه مافعلت امة فعل احبار بنى اسرائيل الا
سلط الله عليها العذاب والنكال وضرب عليها الذلة والمسكنة ولم يضرب
الله الامثال برءوس الاسرأيلين واحبارهم الاليين لغيرهم من ارباب الملل
الاخرى كيف تكون عاقبة من يحرفون الكلم عن مواضعه ومن ينسبون
الى الله تعالى من الاحكام ماهو من صنع ايديهم واملاء شهواتهم . ولو ان
علماء الاسلام تدبروا مايضرب الله لنا من هذه الامثال لما تفشت فيهم
امراض الامم التى حقت عليها كلمة الله ومضت فيها سنته . ولما كان فيهم
من علماء السوء وخلاق المبتدعات والحيل من يكاد احبار اليهود اولئك
يجارونهم فى مضمار. فلقد انتشر التأويل الشاذ لكتاب الله تعالى وحكمت
الشهوات على كثيرين ممن تصدوا لتفسيره وتأويله حتى جعلوا يستنبطون
الاحكام ويصوغونها لا كما تشاء اساليب القرآن وتشاء اسراره الحكيمة
ولكن بمقدار مايستدرون من الرشوات ويتصيدون من جميل الهبات

ويستمتعون باطايب اللذات. ولاجرم ان امثال هؤلاء ينقصون بما يفعلون
اركان الدين ويعطلون حدوده ويضيعون حقوق الامم ويمكنون الاقوياء
من الضعفاء ويظاهرون الاغنياء على الفقراء . وبذلك تتفشى فى اممهم امراض
الاخلاق وتسود بين افرادها العداوة والبغضاء ولا يزالون كالنار يأكل
بعضهم بعضاً حتى يتمكن منهم الضعف والانحلال ويؤذن فيهم الدهر بالزوال
ذلك ويل الله وعذابه العاجل فى الدنيا . اما فى الآخرة فنار حامية
وادراك ماهيه .

فهل لعلماء الاسلام ان يستدركوا مافاتهم وان يثيبوا الى ربهم فلا
يحكموا فيما يشجر بينهم غير كتابه وسنة رسوله وان يتركوا الفتيا بالرأى
ويقلعوا عن الحيل التى شوهوا بها وجه الاسلام وهدموا بمعاولها اركانه
المتينة وفيهم بقية امل واثارة رجاء قبل ان يصيبهم من عقاب الله الشديد
مااصاب اشباههم من بنى اسرائيل. وحسبهم من نذر الله ان قد تقوضت
دعائم اكثر ممالكهم واخذت الامم الصليبية بنواصيهم ولم يبق لهم سوى
دولة واحدة تتهددها الاخطار وتتخطف ممالكها الاشرار. لنترك خطبة
الدنيا وابتياع الحقير من متاعها بما انزل الله علينا من آياته فلقد رأينا آثار
الاعراض عن الشريعة المطهرة فى بلاد فارس ومراكش ومصر وتونس
ونخشى ان يعم البلاء فتجتاحنا الجوائح وتتساقط علينا العقوبات السماوية فلا
يبقى للعالم الاسلامى من وجود. ذلك كتاب الله بيننا ظاهر واضح وتلك
سنة رسوله بينة جلية وان من الامانى الباطلة ان ننتحل الاسلام وقد
اعرضنا عن تحكيمه فى شؤوننا واتبعنا امالى شيوخنا وان عارضت النصوص

اوظاهر العبارات . ومن لنا بطائفة تدعو ثانية الى الكتاب الكريم وترد
مايقع فيه التنازع الى الله ورسوله وبين ايدينا من آياتها البينة الواضحة
مالو تدبره المسلمون وعملوا بقليل منه لامتد سلطانهم وقويت شوكتهم
ولما اصبحوا نهباً تتقاسم وكرة تتلقف. سلك المسلمون مذاهب احبار اليهود
فى اكثر شؤونهم كما اسلفنا ولم يتدبروا عاقبة مافعل اولئك وابتدعوا فى
دينهم واحكام معاملاتهم . وان من بيننا من يدعون ان لهم دالة على الله
تعالى وانهم من اوليائه لايعذبهم بذنوبهم ولا يسوى بينهم وبين غيرهم من
سائر البشرا مالمكانتهم من الرسول عليه الصلاة والسلام واما لأخذهم ببعض
الطرق التصوفية وزعمهم ان الله لايعذبهم بما يجترحون من السيئات أو ان
عذابهم محدود موقوت. ومنهم من زعم انهم اذا ادخلوا يوم القيامة جهنم
فانها تطيب وتلذلهم فلا تألم اجسادهم بعذاب الحريق ولا تكون اذا حشروا
فيها الا بردا وسلاما. كذب اليهود اذ قالوا لن تمسنا النار الا ايام معدودة
واذ قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه الى نحو هذا من المزاعم التى حاجهم الله فيها
بقوله « قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشـاء » وبقوله « قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده . ام
تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون »

بهذه الانباء الالهية قد انقطعت حجج المبطلين وانكشفت حيل
المحتالين وتبينت خفايا مقاصد الاحبار والقسوس والشيوخ من طلب شهواتهم

باسم الدين فان الله قد حقت كلمته ونفذت سنته من ان من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فلم يعالج اطواقها المحيطة بعنقه بالانابة الى حظيرة اقدس ولم يغسل أدرانها بمدامع التوبة والندم لاجرم انه من الخاسرين ولو كان حراً هاشمياً وان من آمن بالله وعمل الصالحات واجتنب كبائر الاثم والفواحش فانه برضوان الله واحسانه فى الدنيا والآخرة ولو كان عبداً رأسه زبيبة . فمن الحمق وقبيح الجهل ان يبتدع اناس امثال احزاب البحر والبر والجلجلوتية واشباهها ثم يتعبدون بتلاوتها ويتخذونها ذرائع الى جمع المال وقهر الاعداء وفتح الثغور وحماية الممالك. فحسبنا ذلك الجهل الذى اضاع ممالك الاسلام وأذل امه فى اطراف الارض. اوليس من المبكيات ان تعقد اوروبا مؤتمر الجزيرة وان تظل المخابرات والمناقشات بين فرنسا والمانيا واسبانيا جارية زهاء سبعة اعوام واهل المغرب الاقصى مابين لاه ولاعب ومشغول بالاحزاب والاوراد متكل على من فى القبور من الاولياء موقن ان هؤلاء لايسمحون للجيوش الفرنسية بدخول ارضهم مهما كان بأسها وقوتها ومهما جلبت من مدافعها وطياراتها ومدمر ديناميتها

الا ان لويل للدين الذى يتولى حمايته وتأييده امثال أولئك الجهلاء والويل ثم الويل للامم التى يتفشى فيها ذلك الداء .

ما اتخذ يهودى ولا مسلم عند الله عهداً ان ينصرهم ولو تخاذلوا ويحفظهم ولو فرّطوا ويرفعهم ولو جهلوا ولكن الله يفعل مايشاء فى خليقته لامعقب لحكمه فما هو بمخاف سنته ولا بمغير كلمته. ولقد امتلأت الدنيا بالعبر ولكننا غافلون وبالآيات ولكننا لاهون لاعيون. واذا ظللنا فى غمرتنا هذه ولم

يكفنا زاجراً مانزل بنا من المصايب فالسلام على الاسلام بعد حماته الاولين والويل له من هؤلاء الغافلين .

مما اسلفنا تبين ان سنة الله تعالى لاتخلف و ناموسه العام لايشذ فاليهود والنصارى والمجوس والمسلمون كلهم سواء ازاء وعود الله وايعاداته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . ولقد بطلت بهذه الآية واشباهها حجج المتكلمين على الحيل المتشبثين باهداب الامانى الكاذبة فان عدل الله تعالى وانصافه يستلزم عقاب من احاطت به كبائر خطاياه حتى فارق الدنيا قبل ان يخرج بالتوبة عن سورها . وهل جزاء ذلك الخاطئ الاثيم الاالخلود و طول الاقامة فى النار يوم القيامة (١) قال تعالى (ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه) ولايجدله من دون الله وليا ولانصيرا .

ومعلوم ان كل ماليس صالحا من الاعمال فهو سوء لايسلم مكتسبه من جزائه الاوفى . فكيف ينتظر الحياة مع هذه التحاذير من يتذرعون الى الموت بجميع وسائله ام كيف ترجو الدوام والعزة ممالك اغفل امراؤها ومترفوها السياسة الرشيدة والتدبير الحكيم واكتفوا من القوة والعظمة بمظاهرها الكاذبة ومجاليها الخادعة فقد عرفت الدولة العباسية فى اواخر انفاسها التى لفظتها ان ليست حياة لدول بتحلية السيوف وتذهيب المناطق وتطرية وجوه الجنود وتميق الملابس وزركشة السروج والانصراف

(١) الخلود فى اللغة معناه الاقامه الطويلة ولايدل على ماجرى به العرف من معنى الا بديه وعلى هذا الاحاجه للبحث فى معنى السيئه والخطيئه وصرفها الى الكفر مما اطال فيه المفسرون

عن جانب الله الى الاعتماد على كثرة العدد ووفرة العدد ومايتبع هذين من الكبرياء والخيلاء .

لقد اتبع امراء الاسلام شهواتهم وروج لهم تلك الحياة التعسة علماء السوء فى كل زمان ومكان يكتبون لهم الفتاوى بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ولقد غفلوا عما يكيد لهم اعداؤهم وعموا عما يدبر لهم من السوء كما طمسوا معالم العدل فى اممهم ومحوا آيات الرقى فى مناطق حكمهم فلم يدعوا فيها آية من آيات العلم والصناعات ومكارم الاخلاق حتى اذا احدقت بهم الاهوال واخذ عروشهم الزلزال من كل جانب قالوا انه لولا اسلامنا ما اخرجنا من ديارنا ولا تكالبت الامم على ممالكنا ولولا اسلامنا ماشقيت حياتنا بدوام الاضطرابات والزعازع الداخلية ولولا اسلامنا لكنا فى مصاف الدول العظمى . قل افلم يكن من المسلمين اولئك الخلفاء الراشدون وملوك بنى امية وابو جعفر المنصور وهرون الرشيد والمامون وسلاطين الدولة الايوبية . اولم يكن من المسلمين محمد الفاتح وسليمان القانونى وسليم ؟ اولم يكن الاسلام هو دين اولئك الذين ملكوا الارض مشارقها و مغاربها واقاموا معالم المدنية الصحيحة فى اطرافها ونشروا العلم والدين واللغة بين عربها وعجمها وبرابرتها .

الا ان الامم التى تخطفتنا اليوم لم تنشط الى اغتيالنا وتوهين اركاننا الابعد ان رأتنا قد اعرضنا عن السنن الطبيعية الكفيلة بدوام حياتنا . رأتنا معرضين عن سياسة القرآن الكريم مكبين على الشهوات البهيمية الدنيئة منصرفين عن التجارة والزراعة والصناعة التى هى اركان الحياة الاستقلالية

رأتنا متنابذين متقاطعين يفرى احدنا جلد اخيه بلسانه وقد عمى عن سائر مايبيت له اعداؤه . وبالجملة فقد رأتنا الامم الصليبية بمعزل عن سياسة ديننا وتعاليم قرآننا التى ضمنت لسلفنا الصالح ملك مابين المشرقين فى نحو ثمانين سنة فذلك الذى اغراها بنا واطمعها فينا . وذلك الذى اوهن قلوبنا عن حماية اوطاننا ومنازلة اعدائنا ولو كانوا فى داخل أرضنا فليس الاسلام هو الذى جلب علينا تلك الاخطار وصب على رؤسنا الصواعق والاهوال وانما مبعث جميع ذلك ان الاسلام اليوم لم يتجاوز حد الازياء التى اصطلح عليها المسلمون فلو سألتهم ماذا كانت سياسة المصطفى وخلفائه او ماذا جاء فى القرآن من آيات المدنية الصحيحة والنظام الالهى التى جعلها الله ناموسا لما يقام فى الارض من الممالك الاسلامية لا تكاد تجد من بينهم من عنى يوما بدرس تاريخ الرسول وخلفائه من بعده ولا من فكر ساعة فى كتاب الله الكريم وناموسه المقدس .

ولو انهم درسوا قرآنهم و تعرفوا تاريخ نبيهم و تتبعوا سياسته وسياسة الخلفاء الذين دانت لهم الارض من بعده لرأوا رأى العين انهم ناكبون عن الصراط السوى مبطلون فى مزاعمهم التى يلصقونها بالاسلام وبكتابه المقدس . فالنيران التى فيها المسلمون اليوم لم تكن الا جزاء وفاقا على ما كسبوا من السيئات التى احاطت بهم و تغلغلت فى سائر اعمالهم واطوارهم و معاملاتهم . فاذا نحن اعتبرنا ذلك بشئونهم السياسة واحوالهم المادية و حياتهم الاجتماعية و اطوارهم النفسانية و جدناها جميعها سيئات متراكمة و ظلمات بعضها فوق بعض . ولو انهم تمسكوا

بالصالحات من الاعمال فحذروا واستبصروا ونشروا العلم والصناعة واقاموا موازين العدل وشورى الجماعة ولوانهم نشروا الفضيلة واقاموا الشركات ومحوا مابينهم من التفرق والخلاف لعاشوا فى الدنيا وهم ناعمون فرحون ولكانوا فى الاخرى اصحاب الجنة هم فيها خالدون .

*

* *

بعد ان قص الله علينا ما كان يفعله بنوا اسرائيل من التلاعب باحكام دينهم والركون الى ظنونهم واما نيهم اخذ يبين لنا ان من اسباب خزيهم فى الدنيا وعذابهم فى الآخرة توليهم عن الاحكام التى فرضها عليهم بعد ان تقبلوها مقرين معترفين بصلاحيتها وانها من عندالله تعالى قدرها لمصلحتهم واستقامة شئونهم وسعادتهم فى حياتهم الاولى والآخرة لقد اخذالله عليهم الميثاق الايعبدوا الاالله وان يحسنوا ويترفقوا بالوالدين وبذوى قرابتهم وباليتامى والمساكين وان يحسنوا القول للناس وان يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة . عطل بنوا اسرائيل قديما كما فعل مسلموهذه الاجيال تلك الشرائع والنواميس المقدسة فهجروا المساجد ونسوا ذكرالله ثم عقوا والديهم وقطعوا ارحامهم وقست قلوبهم على اليتامى والمساكين كما خشنت الفاظهم فى تخاطبهم ثم عطلوا الصلوات التى هى عمادالدين وهدموا الزكاة وهى الركن المكين .

واعلم ان اجلى مظاهر عبادةالله تعالى امتثال اوامره واجتناب مناكيره ومن السخافة ان يزعم الانسان انه يعبدالله وهو منتهك لحرماته ناكب عن صراطه غافل عن آياته معرض عن تذكره . فعبادةالله على ماينا هنا

من اعظم الذرائع لمن شاء ان يتخذ الى الدنيا والآخرة سبيلا .

ولقد اثنى الكتاب الكريم بالاحسان بالوالدين لانهما فى المرتبة الثانية بعد الله استحقاقا للشكر والبر وكيف يرجى الخير من قوم يعقون آباءهم اويزدرون من كانوا سبب وجودهم . يربى الآباء اولادهم بحكم فطرتهم غير طالبين اجرا ولامبتغين شكرا . يقطعون الايام والليالى فى تهيئة مايحتاجه اولادهم من المطعم والملبس دون كلال ولاملال فكيف يكون لمن يكفرون بنعمتهم و يخشنون لهم القول اوالمعاملة اثر من اخلق الكريم والنفس الطيبة .

لقد اوجب الله الرفق بهم والاحسان اليهم ولوكانوا كافرين. وانظر كيف تلطف ابراهيم عليه السلام فى دعوة ابيه من الكفر الى الايمان بقوله (ياأبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيئا) كان ابراهيم يتلطف ذلك لتلطيف على ان أباه كان يخشن له فى القول ويزجره ويقرعه ويتوعده (قال اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفرلك ربى انه كان بى حفيا)

ثم انظر كيف بالغ الله فى طلب الرفق بالآباء وفرط اللين فى مخاطبتهم اذ يقول (ولاتقل لهما اف ولاتنهرهما وقل لهماقولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) .

والخلاصة ان من يكون كافرا بنعمة ابويه غليظ القلب عليهم لايتوقع ان يكون له من الاخلاق الكريمة ماتطيب معه المعاشرة اوتستقيم به المعاملة. فمعاملة الانسان لربه ومعاملته لابويه هما لاجرم مظهر اخلاقه ومرآة نفسه.

وانما اقتضى نظام الدنيا ان يكلف الانسان بالاحسان الى ذوى قرابته والى اليتامى والمساكين لان الله تعالى هو المنعم المتفضل فاذا احرز المرء مالا موفورا وسلطانا واسعا اوجاها عريضا فان ذلك من فضل الله عليه لا بحوله وقوته . يفقه ذلك كل من وهبه الله شيئا من العقل ولذا نجد النفوس تتطلع الى الانتفاع بشئ مما لدى الاغنياء واصحاب الجاه من تلك المواهب الالهية . واذا كان المرء قليلا بنفسه كثيرا بغيره فماذا يغنى المال صاحبه اذا انقبضت يده عن البذل وتنفيس كربة ذوى الكرب.

ان صاحب النعمة محسود ومن نتائج الحسد محاولة الحاسد سلب النعمة المحسود عليها صاحبها او الحاق الاذى بصاحب النعمة حتى يعود الى مستوى الحاسدين له من اقاربه وجيرانه وامثالهم من سائر الفقراء والمساكين. ولكم من مكيدة دبرت للايقاع بالبخلاء الاشحة فسلبتهم كنوزهم المخبوءة وحرمتهم لذة الحياة بما اصابهم من القلق وشغل الفكر وجنة الحرص على ما بايديهم .

يضن الرجل بنعمة الله فيقل انصاره وينفض من حوله اقاربه ويندر من يشفق عليه فى نكباته او يواسيه فى بأسائه . ولكم رأينا من بخيل يصيبه المرض او تنزل به المصيبة فلا يكاد يجد من اهله وعشيرته من يواسيه او يسليه او يتوجع عليه. فماذا يغنى عن هؤلاء مالهم ولو كان ملء الارض ثم كيف تكون حياتهم اذا حفت بمكايد الكائدين واصبح كل همه ان يعيش سليما من الوقوع فيما ينصب له من الاشراك والاحابيل الا ان الموت لخير من حياة كهذه .

لا ينعم صاحبها بلذة الطمأنينة والسكينة ولا تقوى شوكته بالانصار والاولياء من ذوى قرابته ورحمه ولا تبتهج نفسه برؤية آثار نعمة الله عليه.

ان حياة الاشحة على اقربائهم تكاد تكون عذابا لهم وجحيما عليهم لا رحمة من الله بهم و احسانا منه لهم . لذلك كان من وسائل الحياة الطيبة ان يستكثر الانسان من الانصار والاعوان والخلان بما تقدمه يده اليهم من فضل نعم الله عليه واحسانه اليه.

واذا انزلت تلك الآيات فى بنى اسرائيل فقد امر الله هذه الامة بنظير ذلك فى سورة النساء فقال (وعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا)

اما القول الحسن فانه خير ما يتحلى به الانسان فى سائر مجادلاته ومحاوراته وجميع مطالبه ومحادثاته. ذلك ان الغلظة فى القول والاخشان فى الدعوة والنصح مصدر لبغض القائل ومثار للنفور من الداعى والناصح. ولا جرم ان الغلظة والقسوة والخشونة لا تستقيم بها شئون الدنيا ولا تنتظم معها المعاملات

ولولا ان اللين وحسن القول مفتاح النجاح فى الاعمال لما ندب الله اليه حتى فى مخاطبة اهل الكفر ومحاورات الطاغين من المشركين قال تعالى لموسى وهرون (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى) وقال لرسوله المصطفى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن) وقال (ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى

بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) وقال فى ارشاد المسلمين الى امثل الطرق فى معاملة المشركين السفهاء (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)

وقال الفخر الرازى (١) قال اهل التحقيق كلام الناس مع الناس اما ان يكون فى الامور الدينية اوفى الامور الدنيوية فالاول دعوة الكفار الى الايمان أوالخاطئين من كل صنف الى الصواب فاما الدعوة الى الايمان فلا بد ان تكون بالقول الحسن كما نصح الله موسى وهرون بقوله (فقولا له قولا لينا) امرهما الله بالرفق على فرعون مع جلالتهما ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه على الله تعالى . وقال لمحمد (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)

وكذلك يتخذ الانسان من القول فى مخاطبة غيره أحسنه قال تعالى (ادع الى سبيل ربك الآية) واما فى الامور الدنيوية فمن المعلوم بالضرورة انه اذا امكن التوصل الى الغرض باللين واللطف من القول لم يحسن سواه . انتهى بتصرف .

(١) صفحة ٤٢٣ جزء اول .

عبدالعزيز جاويش

—(ابن رشد وتعاليمه)—

—§ ٢ §—

—{ الآراء والتعاليم }—

— الفلسفة والشريعة —

لقد قام ببلاد الاسلام نفر حقدوا على الفلسفة وعلى المشتغلين بها غير ان هؤلاء لم يدعموا آراءهم بالبرهان بل سلكوا طرقا أعمتهم عن الحق وأبعدتهم عن سبل الهدى ويمكن حصر الطوائف التى عادت الفلسفة وأهلها فى ثلاث

(١) طائفة الفقهاء . جل هذه الطائفة لم يشتغل بالفلسفة ولم يعرف من أصولها مايبرر له هذا العداء وانما ابغضوا الفلاسفة لمخالفتهم لهم فى كثير من العقائد زعموا انها أصل الدين فمخالفتها كفرو انتحال غيرها زندقة ولو انهم ثابوا الى عقولهم لعلموا انهم فى زعمهم واهمون ومامخالفة الفلاسفة لهم الا كمخالفة الكرامية للمعتزلة والاشاعرة للماتريدية وانا نترك هذه الطائفة تخبط فى جهلها فأنها لاتخضع لحق ولاتحترم رأيا

(٢) الطائفة الثانية اشتغلت بالفلسفة وعرفت كثيرا من مبادئها واصولها غير أنها لم ترجع الى كتب القوم انفسهم بل اعتمدت فى نقلها وردها على كتب ابن سينا و ابى نصر الفار ابى اللذين كثيرا ما خالفا الا قدمين وذهبا الى غير ماذهبوا . وهؤلاء لم يكفروا الفلاسفة

الا فى مسائل معدودة سنتكلم فيها بعد و لقد كان الاجدر بهؤلاء ان
يرجعوا الى كتب القدماء قبل أن ينبروا للرد عليهم . ومن هذه الطائفة
الامام الغزالى قال فى كتابه تهافت الفلاسفة

انا سنقتصر على اظهار التناقض فى رأى مقدمهم الفيلسوف المطلق
والمعلم أرسطو فانه رتب علومهم وهذ بها بزعمهم و حذف الحشو من
آرائهم وانتقى ماهو الاقرب الى اصول أهوائهم وقدرد على كل من كان
قبله حتى على استاذه افلاطون ثم اعتذر عن مخالفته له بأن افلاطون
صديق والحق صديق الا ان الحق اصدق منه وانما نقلنا هذه الحكاية
ليعلم ان لاثبت ولا ايقان لمذهبهم عندهم وانهم يحكمون بظن وتخمين
من غير تحقيق ويقين ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور
العلوم الحسابية والمنطقية ويستدرجون به ضعفاء العقول ولوكانت
علومهم الالهية متقنة البراهين نقية عن التخمين كعلومهم الحسابية
والمنطقية ما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا فى العلوم الحسابية ثم المترجمون
لكلام ارسطو لم ينفك كلامهم عن تحريف و تبديل محوج الى تفسير
وتأويل حتى أثار ذلك ايضا نزاعا بينهم و اقوامهم بالنقل والتخمين من
المتفلسفة الاسلامية ابى نصر الفارابى وابن سينا فلنقتصر على ابطال
ما اختاره ورأياه الصحيح من مذاهب رؤسائهم فى الضلال فان ماهجراه
و استنكفاه من المتابعة فيه لايتمارى فى اختلاله ولايفتقر الى نظر
طويل فى ابطاله فليعلم انا مقتصرون على رد مذهبهم بحسب نقل
هذين الرجلين

الطائفة الثالثة — اشتغلت بالفلسفة واحاطت بكثير من فروعها الا انها قد
غفلت عن كثير من الاصول لهذا تراها تعترض على بعض الاصول غافلة عن
البعض الآخر ومن هذه الطائفة ابن خلدون قال فى مقدمته :

ان ضرر هذه العلوم فى الدين كثير فوجب ان يصدع بشأنها ويكشف
عن المعتقد فيها و ذلك ان قوما من عقلاء النوع الانسانى زعموا ان
الوجود كله الحسى منه وما وراء الحس تدرك ذواته واحواله بالانظار
الفكرية والاقيسة العقلية كأن تصحيح العقائد الايمانية من قبل النظر لا
من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل وقد بحثوا عن ذلك وشمروا له
وحوموا على الاصابة منه و وضعوا قانونا يهتدى به العقل فى نظره الى التميز
بين الحق والباطل وسموه بالمنطق وقد زعموا ان السعادة فى ادراك الموجودات
كلها ما فى الحس وماوراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين وان الجهل بذلك
هو الشقاء السرمدى . وامام هذه المذاهب الذى حصل مسائلها و دون
علمها وسطر حججها ارسطو المقدونى ثم كان من بعده فى الاسلام من
اضله الله من منتحلى هذه العلوم فأخذوا بتلك المذاهب واتبعوا فيها رأيه الا
فى القليل وكان من اشهرهم ابو نصر الفارابى فى المائة الرابعة لعهد سيف
الدولة وابو على ابن سينا فى المائة الخامسة لعهد نظام الملك بن بويه بأصبهان .

فهذه الطوائف على اختلاف آرائها قد اتفقت على انه لا اتصال بين الشريعة
والفلسفة والاشتغال بها مضر غير ان ابا الوليد بن رشد لم يلتفت الى هذه
الآراء ولم يأبه لقائليها فبحث حتى وصل الى الاتصال المتين بين الشريعة
والفلسفة وذهب الى ان الاشتغال بها وبعلوم المنطق من الواجبات التى

طالب بها الشرع وهذه المسألة من المسائل التى لم يسبق اليها ابن رشد فهى
من بنات افكاره وحسبنا ان نلخص رسائله التى كتبها فى هذه المسألة.
الحكمة او الفلسفة النظر فى احوال الموجودات على ماهى عليه بقدر
الطاقة البشرية فالفيلسوف لا يشتغل بشئ اكثر من النظر فى الموجودات
من جهة دلالتها على الصانع فان الموجودات انما تدل على الصانع لمعرفة
صنعها فكلما كانت المعرفة بصنعها اتم كانت المعرفة بالصانع اكمل
واذا كان الشارع قد طلب منا اعتبار الموجودات وحث على التدبر فى
دقائقها فذلك قد يكون منه على سبيل الوجوب او على طريق الندب اليه
فاما ان الشرع قد حث على اعتبار الموجودات بالعقل وطلب معرفتها به
فذلك بين فى غير ما آية من القرآن مثل قوله تعالى (فاعتبروا يا اولى الابصار)
وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلى او العقلى والشرعى معا
ومثل قوله تعالى (اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله
من شئ) وهذا نص بالحث على النظر فى جميع الموجودات وقال تعالى
(افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت) وقال
(ويتفكرون فى خلق السموات والارض) الى غير ذلك من الآيات
واذا تقرر ان الشرع قد اوجب النظر بالعقل فى الموجودات واعتبارها
وكان الاعتبار ليس شيئاً اكثر من استنباط المجهول واستخراجه منه
وهذا هو القياس فواجب ان نجعل نظرنا فى الموجودات بالقياس العقلى
وبين ان هذا النحو من النظر الذى دعا اليه الشرع وحث عليه هو اتم انواع القياس.
واذا كان الشرع قد حث على معرفة الله تعالى وموجوداته بالبرهان كان

الافضل لمن اراد ان يعلم الله وسائر الموجودات بالبرهان ان يتقدم اولا
فيعلم انواع البراهين وشروطها وبماذا يخالف القياس البرهانى القياس
الجدلى والقياس الخطابى والقياس المغالطى ولا يمكن ذلك دون ان
يتقدم فيعرف قبل ذلك القياس المطلق وكم انواعه وما منها قياس وما
ليس بقياس وذلك لا يمكن ايضاً دون ان يتقدم فيعرف اجزاء القياس
اعنى المقدمات وانواعها . اذن يجب على المؤمن بالشرع ان يتقدم قبل
النظر فى الموجودات فيعرف هذه الاشياء التى تنزل من النظر منزلة
الآلات من العمل فكما ان الفقيه يستنبط من الامر بالتفقه فى الاحكام
الفقهية على وجوب معرفة المقاييس وانواعها كذلك يجب على العارف
ان يستنبط من الامر بالنظر فى الموجودات وجوب معرفة القياس وانواعه
بل هو احرى بذلك لانه اذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى (فاعتبروا
يا اولى الابصار) وجوب معرفة القياس الفقهى فبالحرى ان يستنبط
من ذلك العارف بالله وجوب معرفة القياس العقلى
واذا تقرر ذلك ولم يكن احد ممن قبلنا لم يتقدم بالفحص عن القياس
العقلى وانواعه وجب علينا ان نبتدئ بالفحص عنه وان يستعين فى ذلك
المتقدم بالمتأخر حتى تكمل المعرفة فانه عسر او غير ممكن ان يقف واحد من
الناس من تلقائه على جميع ما يحتاج اليه من معرفة انواع القياس الفقهى
بل معرفة القياس العقلى احرى بذلك وان كان غيرنا قد فحص عن
ذلك فبين انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما وصل اليه من
تقدمنا فى ذلك سواء كان المتقدم مشاركا لنا فى الملة او غير مشارك فان الآلة

التي بها تصح التذكية ليس يعتبر في صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا
في الملة او غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة

واذا كان الامر هكذا وكان كل مايحتاج اليه من النظر في امر المقاييس
العقليه قد فحص عنه القدماء اتم فحص فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى
كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان كله صوابا قبلناه منهم و ان كان
فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه فاذا فرغنا من هذا الجنس من النظر
وحصلت عندنا الآلات التي بها نقدر على الاعتبار في الموجودات ودلالة
الصنعة فيها فقد يجب ان نشرع في الفحص عن الموجودات على الترتيب
والنحو الذي استفدناه من صناعة المعرفة بالمقاييس البرهانية وتبين ايضاً
ان هذا الغرض انما يتم في الموجودات بالفحص عنها واحدا بعد واحد وان يستعين
في ذلك المتأخر بالمتقدم على مثال ماعرض في علوم التعاليم . فانه لو فرضنا ان
صناعة الهندسة في وقتنا هذا معدومة وكذلك صناعة الهيئة ورام انسان من
تلقاء نفسه ان يدرك مقادير الاجرام السماوية واشكالها و ابعاد بعضها ما
امكنه ذلك ولوكان اذكى الناس طبعا الا بوحي اوشبه وحي بل لو قيل له
ان الشمس اعظم من الارض بنحو مائة وخمسين ضعفاً اوستين لعد هذا
القول هذيانا اوخرافا من قائله وهذا شيء قد قام عليه البرهان في علم الهيئة
حتى اصبح من الاوليات . ولورام انسان اليوم ان يقف من
تلقاء نفسه على جميع الحجج التي استنبطها النظار من اهل المذاهب
في مسائل الخلاف التي وضعت المناظرة فيها بينهم في اكثر بلاد الاسلام
لكان اهلا ان يضحك منه لكون هذا ممتنعا وهذا امر بين بنفسه

ليس في الصنائع العملية فقط بل وفي العلمية فانه ايضا ليس منها صناعة
تقدر ان ينشئها واحد بعينه فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة

واذا تقرر ذلك وجب علينا ان الفينا لمن تقدمنا من الامم السالفة
نظراً في الموجودات بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ان ننظر في
الذي قرروه من ذلك وما اثبتوه في كتبهم فما كان منها موافقا للحق
قبلناه منهم وشكرناهم عليه وماكان منها غير موافق للحق نبهنا عليه
وحذرنا منه

فقد تبين من هذا أن النظر في كتب القدماء واجب بالشرع اذ
مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه وان من
نهى عن النظر فيها من كان أهلا للنظر بأن كان ذكي الفطرة عنده
العدالة الشرعية والفضيلة العلمية والخلقية فقد صد الناس عن الباب الذي
دعا الشرع الناس الى معرفة الله بولوجه وهو باب النظر الى معرفة
الصانع حق المعرفة وان ذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى وليس
يلزم من أنه اذا غوى غاو بالنظر فيها اوزل زال من قبل فطرته اومن
قبل سوء ترتيب نظره فيها أومن قبل غلبة شهواته عليه أو انه لم يجد
معلما يرشده الى فهم مافيها أومن قبل اجتماع هذه الاسباب فيه ان
نمنعها عن الذي هو أهل للنظر فيها فان هذا النحو من الضرر شيء لحقها
بالعرض لابالذات . وليس يجب فيما كان نافعا بطباعه وذاته ان يترك
لمكان مضرة موجودة فيه بالعرض ولذلك قال عليه السلام للذي أمره
بسقي العسل أخاه لاسهال كان فيه فتزايد الاسهال لما سقاه العسل

وشكا اليه « صدق الله وكذب بطن أخيك » وان مثل من منع النظر فى كتب الحكمة من هو أهل له من أجل ان قوما من أراذل الناس قد يظن بهم أنهم ضلوا من قبل نظرهم فيها مثل من منع العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات لان قوما شرقوا به فماتوا فان الموت من الماء بالشرق أمر عارض وعن العطش ضرورى وذووى

وهذا الذى عرض لهذه الصناعة قد عرض لغيرها من الصنائع فكم من فقيه كان الفقه سببا لقلة تورعه وخفضه فى الدنيا بل اكثر الفقهاء هكذا نجدهم قد حادوا عن الصراط السوى واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا مع ان صناعتهم انما تقتضى بالذات الفضيلة العملية فاذاً لا يلزم ان يعرض فى الصناعة التى تقتضى الفضيلة العملية ماعرض فى الصناعة التى تقتضى الفضيلة العلمية

واذا تقرر هذا كله وكنا نعتقد معشر المسلمين ان شريعتنا الالهية حق وانها هى التى نبهت على هذه السعادة التى هى المعرفة بالله وبمخلوقاته ودعت اليها وان ذلك متقرر عند كل مسلم من الطريق الذى اقتضته جبلته وطبيعته من التصديق وذلك ان طبائع الناس متفاضلة فمنهم من لا يصدق الا بالبرهان ومنهم من يصدق بالاقاويل الجدلية . تصديق صاحب البرهان ومنهم من يصدق بالاقاويل الخطابية والشريعة الاسلامية لما دعت الناس من هذه الطرق الثلاث عم التصديق بها كل انسان الا من يجحدها عناداً او استكبارا اولم تتقرر عنده طرق الدعاء لها الى الله تعالى لاغفاله ذلك من نفسه واذا كانت الشرائع حقا وداعية الى النظر المؤدى الى معرفة الحق فانا معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدى

النظر البرهانى الى مخالفة ماورد به الشرع فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له. واذا تقرر ذلك فان ادى النظر البرهانى الى نحو ما من المعرفة بموجود ما فاما ان يكون الشرع سكت عنه أو نطق به فان كان مما قد سكت عنه الشرع فلا تعارض هناك وهو بمنزلة ماسكت عنه من الاحكام الجزئية فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعى . واذا كانت الشريعة نطقت به فان كان ظاهر النطق موافقا لما ادى اليه البرهان فلا قول هناك وان كان مخالفا طلب تأويله اى اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية بدون ان يخل ذلك بعادة العرب فى التجوز واذا كان الفقيه صاحب القياس الظنى قد فعل ذلك فى كثير من الاحكام الشرعية فبالاحرى ان يفعل ذلك صاحب العلم الالهى بالبرهان وانا نقطع ان كل ما ادى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التجوز العربى وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن. وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا القصد من الجمع بين المنقول والمعقول. ولهذا المعنى أجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل واختلفوا فى المؤول منها وغير المؤول فالاشعريون يتأولون آية الاستواء وحديث النزول والحنابلة تحمل ذلك على ظاهره والسبب فى ورود الشرع فيه الظاهر والخفى اختلاف انظار الناس وتباين قرائحهم فى التصديق . والسبب فى ورود الظواهر

المتعارضة تنبيه الراسخين فى العلم على التأويل الجامع بينهما (١) (هو الذى
انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله
ومايعلم تأويله الاالله والراسخون فى العلم)

فان قال قائل ان فى الشرع اشياء اجمع المسلمون على حملها على ظاهرها
واشياء اجمعوا على تأويلها واشياء قد اختلفوا فيها فهل يؤدى البرهان
الى تأويل ما اجمعوا على ظاهره او ظاهر ما اجمعوا على تأويله . قلنا ان
الاجماع اذا ثبت بطريق يقينى لم يصح وان كان الاجماع فيها ظنياً فقد
يصح ذلك قال الغزالى وابو المعالى وغيرهما انه لايقطع بكفر من خرق
الاجماع بالتأويل فى امثال هذه الامور . وقد يدلك على ان الاجماع
لايتقرر فى النظريات بطريق يقينى كما يمكن ان يتقرر فى العمليات انه
ليس يمكن ان يتقرر الاجماع فى مسألة ما فى عصر ما الا بأن يكون
ذلك العصر محصوراً أو العلماء الموجودون فيه معلومين عندنا اعنى
معلوما أشخاصهم ومبلغ عددهم وأن ينقل الينا مذهب كل واحد منهم
فى المسألة نقل تواتر ويكون مع هذا كله قد صح عندنا ان العلماء
الموجودين فى ذلك الزمان متفقون على انه ليس فى الشرع ظاهر
وباطن وأن العلم بكل مسألة يجب ألا يكتم عن احد وأن الناس طريقهم
واحد فى علم الشريعة أما كثير من الصدر الأول قد نقل عنهم انهم

(١) قد عثرنا على رسالة نفيسة الفها احد علماء الاسلام فى رد المتشابه الى المحكم وسنقوم بنشرها قريبا

كانوا يرون ان للشرع باطنا وظاهرا وانه ليس يجب ان يعلم بالباطن
من ليس من أهل العلم به ولا يقدر على فهمه وذلك مثل مارواه
البخارى عن على رضى الله عنه انه قال (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون
ان يكذب الله ورسوله) فكيف يتصور بعد ذلك اجماع منقول الينا
عن مسألة من المسائل النظرية ونحن نعلم قطعاً انه لايخلو عصر من
العصور من علماء يرون ان فى الشرع اشياء لاينبغى ان يعلم بحقيقتها
جميع الناس على السواء وذلك بخلاف ماعرض فى العمليات فان الناس كلهم
يرون افشائها لجميع الناس ويكفى حصول الاجماع بان تنتشر المسألة فلاينقل
الينا فيها خلاف فان هذا القدر كاف فى حصول الاجماع فى العمليات .

وقد بان من قولنا فيما مر انه ليس يمكن ان يتقرر اجماع فى امثال هذه
المسائل النظرية ان ههنا تأويلات لايجب ان يفصح بها الا لمن هو من اهل
التأويل وهم الراسخون فى العلم لأن الظاهر الوقف على قوله والراسخون
فى العلم لأنه اذا لم يكن اهل العلم يعلمون التأويل لم تكن عندهم مزية
تصديق توجب لهم من الايمان به مالا يوجد عند غير أهل العلم وقد
وصفهم الله تعالى بأنهم المؤمنون وهذا انما يحمل على الايمان الذى يكون
من قبل البرهان وهذا لايكون الا مع العلم بالتأويل فان غير اهل العلم
من المؤمنين هم اهل الايمان بها لا من قبل البرهان فان كان الايمان الذى
وصف الله به العلماء خاصاً بهم فانه يجب أن يكون بالبرهان واذا كان بالبرهان
فلايكون الا مع علم التأويل لان الله تعالى قد أخبر ان هنالك تأويلا هو الحقيقة
والبرهان و اذا كان كذلك فلا يمكن أن يتقرر فى التأويلات التى خص
الله بها العلماء اجماع مستفيض . وهذا بين عند من انصف

وان المختلفين فى هذه المسائل العويصة اما مصيبون مأجورون و اما مخطئون معذورون فان التصديق بالشئ من قبل الدليل القائم فى النفس اضطرارى لااختيار للمرء فيه فليس له ان يصدق والا يصدق كما له ان يقوم والا يقوم واذا كان من شرط التكليف الاختيار فان المصدق بالخطأ من قبل شبهة عرضت له اذا كان من اهل العلم معذور ولذلك قال عليه السلام اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واى حاكم اعظم من الذى يحكم بانه كذا اوليس بكذا . و هذا الخطأ المصفوح عنه فى الشرع انما هو الخطأ الذى يقع من العلماء اذا نظروا فى الاشياء العويصة التى كلفهم الشرع بالنظر فيها اما الخطأ الذى يقع من غير هذا الصنف من الناس فهو أثم محض سواء كان الخطأ فى الامور النظرية ام العملية فكما ان الحاكم الجاهل بالسنة اذا اخطأ فى الحكم لم يكن معذورا كذلك الحاكم على الموجودات اذا لم توجد فيه شروط الحكم فليس بمعذور بل هو اما آثم و اما كافر واذا كان يشترط فى الحاكم فى الحلال والحرام ان تجمع له اسباب الاجتهاد فبالاحرى ان يشترط ذلك فى الحاكم على الموجودات فالخطأ فى الشرع على ضربين اما خطأ يعذر فيه من هو من اهل النظر فى ذلك الشئ الذى وقع فيه الخطأ كما يعذر الطبيب الماهر اذا اخطأ فى صناعة الطب و لا يعذر فيه من ليس من اهل ذلك الشان . واما خطأ ليس يعذر فيه احد من الناس بل ان وقع فى اصول الشريعة فهو كفر و ان وقع فيما بعد المبادئ فهو بدعة وكذلك الخطأ الذى يكون فى الاشياء التى يتوصل الى معرفتها جميع الناس مثل الاقرار بالله

وبالنبوات وبالسعادة الاخروية وذلك ان هذه الاصول الثلاثة يؤدى اليها اصناف الدلائل الثلاثة التى لايعرى احد من الناس عن وقوع التصديق له من قبلها اعنى الدلائل الخطابية والجدلية والبرهانية فالجاحد لأمثال هذه الاشياء اذا كانت اصلا من اصول الشرع كافر معاند بلسانه دون قلبه او بغفلته عن التعرض الى معرفة دليلها لانه ان كان من اهل البرهان فقد جعل له سبيل الى التصديق بها بالبرهان وان كان من اهل الجدل فبالجدل وان كان من اهل الموعظة فبالموعظة ولذلك قال عليه السلام (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الاالله ويؤمنوا بى) يريد بأى طريق اتفق لهم من طرق الايمان الثلاث

واما الاشياء التى لخفائها لا تعلم الا بالبرهان فقد تلطف الله فيها لعباده الذين لاسبيل لهم الى البرهان امامن قبل نظرهم واما من قبل عادتهم واما من قبل عدمهم اسباب التعلم بأن ضرب لهم امثالها واشباهها ودعاهم الى التصديق بتلك الامثال اذا كانت تلك الامثال يمكن ان يقع التصديق بها بالادلة المشتركة للجميع اعنى الجدلية والخطابية وهذا هو السبب فى ان الشرع انقسم الى ظاهر وباطن فان الظاهر هو تلك الامثال المضروبة لتلك المعانى والباطن هو تلك المعانى التى لا تتجلى الا لاهل البرهان

وهاهنا صنف ثالث من الشرع يقع فيه شك فيلحقه قوم ممن يتعاطى النظر بالظاهر الذى لا يجوز تأويله ويلحقه قوم بالباطن الذى لايجوز حمله على الظاهر للعلماء وذلك لغواصة هذا الصنف واشتباهه والمخطئ فى هذا معذور اذا كان من العلماء. اذاً الشرع على ثلاث مراتب فمن اى هذه المراتب ماجاء فى صفات المعاد واحواله. الظاهر انها من الصنف المختلف فيه وذلك

انا نرى قوما ينسبون انفسهم الى البرهان يقولون يجب حملها على الظاهر كأن ليس هاهنا برهان يؤدى الى استحالة الظاهر فيها وهذه طريقة الاشعرية وقوم آخرون ممن يتعاطى البرهان يتأولونها وهؤلاء يختلفون فى تأويلها اختلافاً كثيراً

و من هذا الصنف الغزالى وكثير من المتصوفة ومنهم من يجمع فيها التأويل كما يفعل ذلك الغزالى فى بعض كتبه ويشبه ان يكون المخطئ فى هذه المسألة من العلماء معذوراً والمصيب مشكوراً وذلك اذا اعترف بالوجود وتأول فيها نحوا من انحاء التأويل واما من كان من غير اهل العلم فالواجب حملها على الظاهر وتأويلها فى حقه كفر . فمن كان فرضه الايمان بالظاهر فالتأويل فى حقه كفر لانه يؤدى اليه فمن افشاه له من اهل التأويل فقد دعاه الى الكفر والداعى الى الكفر كافر. ولهذا يجب الا تثبت التأويلات الا فى كتب البراهين حتى لا يصل اليها الا من كان من اهل البرهان. اما اذا ثبتت فى غير كتب البرهان واستعمل فيها الطرق الشعرية والخطابية والجدلية فان ذلك يكون خطأ على الشريعة وعلى الحكمة .

فقد بان انه ليس يجب ان تثبت التأويلات الصحيحة فى الكتب الجمهورية فضلا عن الفاسدة فانها مدعاة لتضليل الناس. والتأويل الصحيح هو الامانة التى حملها الانسان وابى ان يحملها واشفق منها جميع الموجودات من قبل هذه التأويلات والظن بانها يجب ان يصرح بها فى الشرع نشأت فرق الاسلام حتى كفر بعضهم بعضا وبدع بعضهم بعضا فأولت المعتزلة آيات كثيرة واحاديث عديدة وصرحوا بتأويلهم للجمهور وكذلك فعلت الاشعرية وان كانوا اقل تأويلا فاوقعوا الناس من قبل ذلك فى شنآن وتباغض وحروب ومزقوا الشرع وفرقوا الناس كل التفريق اضف الى

ذلك ان طرقهم التى سلكوها فى اثبات تأويلاتهم ليسوا فيها مع الجمهور ولا مع الخواص لكونها اذا تؤملت ناقصة عن شرائط البرهان. ولقد بلغ الحمق من بعض الاشعرية ان زعموا ان من لم يعرف الله بالطرق التى وضعوها لمعرفته فى كتبهم كافر. ومن هنا اختلفوا فى اول الواجبات فقال قوم النظر . وقال قوم الايمان . وسبب هذا الاختلاف انهم لم يعرفوا اى الطرق هى الطرق المشتركة للجميع التى دعا الشرع من ابوابها جميع الناس وظنوا ان ذلك طريق واحد فأخطأوا مقصد الشارع وضلوا واضلوا

فان قيل فاذا لم تكن الطرق التى سلكها الاشعريون وغيرهم من اهل النظر هى الطرق المشتركة الى قصد الشارع لتعليم الجمهور فأى الطرق هى هذه الطريق فى شريعتنا

قلنا هى الطرق التى تثبت فى الكتاب العزيز فان القرآن اذا تؤمل وجدت فيه الطرق الثلاث الموجودة لجميع الناس والطرق المشتركة لتعليم اكثر الناس والخاصة واذا تؤمل الامر فيها ظهر انه ليس يلفى مشتركا لتعليم الجمهور افضل منها فمن صرفها بتأويل لا يكون ظاهرا بنفسه اواظهر منها للجميع فقد ابطل حكمتها وابطل فعلها المقصود فى افادة السعادة الانسانية وذلك ظاهر جداً من حال الصدر الاول وحال من اتى بعدهم فان الصدر الأول انما صار الى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الاقاويل دون تأويلات فيها ومن كان منهم وقف على تأويل لم يرانه يصرح به

واما من بعدهم فانهم لما استعملوا التأويل قلت تقواهم وكثر اختلافهم وارتفعت محبتهم وتفرقوا فرقا. فيجب على من اراد ان يرفع هذه البدعة عن

الشريعة ان يعمد الى الكتاب العزيز فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة
فيما كلفنا اعتقاده ويجتهد فى نظره الى ظاهره ما امكنه من غير ان
يتأول من ذلك شيئاً الا اذا كان التأويل ظاهراً بنفسه مشتركا للجميع فان
الأقاويل الشرعية المصرح بها فى القرآن للجميع لها ثلاث خواص دلت على
الاعجاز احداها — انه لا يوجد اتم اقناعا وتصديقا للجميع منها — الثانية —
انها تقبل النصرة بطبعها الى أن تنتهى الى حد لا يقف على التأويل فيها الا
أهل البرهان — الثالثة — انها تتضمن التنبيه لأهل الحق على التأويل الحق
وهذا ليس يوجد لا فى مذاهب الاشعرية ولا فى مذاهب المعتزلة أعنى ان
تأويلاتهم لا تقبل النصرة ولا تتضمن التنبيه على الحق ولهذا كثرت
البدع وتخاصمت الفرق وتفرقت القلوب وتمزق الشرع — سدد الله الجميع
ووفقهم الى ما فيه سعادة الاسلام والمسلمين وهدانا الى الصرط القويم

— حافظ وهبه —

— حقيقة الدين —

—[للمفضال صاحب الاسم المذيل به المقالة]—

زعموا والزعم فى هذه الايام كثير ان الرجل لا يكون خيراً صالحا ولا مسلما
متورعا ولا تقياً رشيداً الا اذا صطنع أموراً خاصة وانتحل نحلاً معينة وذهب
مذاهب معروفة فلبس له ان يلبس الا لبوسا خاصا فيكبر العمامة ويرسل أردان
الثوب ويطيل الاكمام ويمشى مشية المتخشع الذى يتكلف الوقار ويظهر الحرص
عليه . وينبغى ان يأخذ فى يده مسبحة طويلة كبيرة الحبات ويغرس فى عمامته
سواكا طويل القامة ويملأ أنفه من حين الى حين بأنواع من السعوط ويطلق لسانه
من آن الى آن بأنواع من الكلام تكثر فيها القاف وغيرها من الحروف الضخمة
الفخمة . فكل هذه أمور لازمة وصفات ضرورية هى مقومات العلم والدين فليس
لمسلم صالح أن يحيد عنها او يتكلف غيرها الا اذا اراد ان يحيد عن السنة ويميل
عن العقيدة الطاهرة ويذهب مذهب الملحدين .

قالوا : ولابد من التردد على مقابر الاولياء ومشاهد الصالحين والطواف بها
والوقوف عليها واظهار الخشية والرهبة لها والتقرب الى الله عز وجل ببركة سكانها
ومن حاد عن ذلك فقد اختار الاولى على الآخرة وآثر الباطل على الحق ورغب
الى الدنيا عن الدين .

قالوا : ولابد مع ذلك من الاحتفاظ بعقائد السلف وعادات الاولين والابتعاد
عن استحداث الامر الصالح والسنة النافعة وعن الجهر بالرأى والتصريح بذات
النفس وعن القول فى العلم والدين بما لم يقله قائل ولم يذهب اليه ذاهب فان ذلك
ادنى الى حسن العاقبة واخلق بمن يريد ان يلقى الله بنفس بريئة وقلب سليم .

ذلك هو القانون الذى رسموه واوجبوا على المسلم الصالح ان يتبعه ويحرص
عليه ليسلم له دينه وتصح له عقيدته ويأمن من حر النار وعذاب الجحيم وقد
رأوا أن العدول عنه والتبديل فيه نوع من الشرك وضرب من الزندقة وطائف
من المروق .

بذلك انطلقت السنتهم وفاظت فتياهم وعليه دلت اعمالهم وبرهنت الجوارح
فلنبحث الآن عن نصيبه من الحق وحظه من الصواب وليكن بحثنا فى هذا الفصل

مجملا موجزاً لنتبعه فيما بعد بفصول ضافية متصلة نشرح فيها حقيقة العقائد الدينية لتهتدى اليها الامة ويظهر عليها الجمهور .

لانفهم للدين معنى يقصد اليه اكثر من هداية النفوس الى ما يصلح امرها فى الآخرة والاولى فان الانسان اجتماعى بطبعه مدنى بفطرته نزاع الى ايثار نفسه بالصالحات واختصاصها بالطيبات وذلك مؤد لا محالة الى اختلاف الاهواء وافتراق الآراء وتباين المذاهب والاغراض فقد تتعارض المصالح وتتنافس فى المنافع فيدعو ذلك الى اضطغان الصدور وامتلاء القلوب بالموجدة والبغض وذلك مصدر فساد فى الارض يعقبه سفك للدماء المحرمة واهدار للنفوس المعصومة وقطع لأواصر المودة والالفة بين الناس وهدم لصروح الحضارة والعمران فلابد من حاكم حازم وسلطان رشيد يحكم بين الناس بالقسط ويرد عادية القوى الظالم عن الضعيف المظلوم ويصرف الاقناء والجماعات الى العمل الصالح والرغبة فى الخير والمنفعة العامة . ثم ان مما لا شك فيه ان لكل عمل من اعمال الانسان اثراً حسناً اوسيئاً ونتيجة محمودة او مرذولة كما ان له مقدمة وعلة واقصى مالأعمال الانسان من النتائج والآثار هو ما يلقاه بعد الموت من خير او شر ومن نعيم او جحيم وذلك كله يقتضى ان هناك مصرفا للامور ومسيراً للعالم ومثيبا بالحسنات ومعاقبا على السيئات ومسيطرا على النفوس ومستأثرا بالقلوب فلابد للانسان من مرشد الى هذا كله ودال عليه لان عقله لا يستقل بالوصول الى حقيقته ولئن استطاع ان يعلم ظاهراً من الحياة الدنيا فانه لن يستطيع ان يعلم قليلا من امر الآخرة لانقطاع الاسباب بينها وبين العقل . وقد امتن الله على الانسان فأرشده الى كل ذلك بمن ارسل اليه من رسل وما انزل عليهم من كتب وما شرع لهم من دين . فليس لأحد ان يذهب فى فهم الدين غير هذا المذهب او ينحو غير هذا النحو او يسلك غير هذه السبيل لالأنا نحجر على الرأى او نستبد فى النظر بل لان ذلك هو الحق الواضح الذى ينطق به الدين وينادى عليه (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (كتابا انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد)

هذه آيات الكتاب ناطقة بأن الله لم ينزل كتبه ولم يشرع دينه الا لهداية القلوب وارشاد الناس الى منافعهم فى الدنيا والآخرة وقد احل لهم فيه الحلال وحرم عليهم الحرام ومازلهم الحق من الباطل والرشد من الغى والحسن من

القبيح فمن بدل فيه او زاد عليه فهو حرى بالاثم خليق بسوء الجزاء .

فلنبحث الآن عن هذه الاوضاع المحدثة والاطوار المبتدعة ولننظر اين مصدرها من الدين وهل جاء بها نص ظاهر او مؤول من سنة او كتاب .

نعرف ان ليس فى القرآن الكريم آية او سورة انزلت لبيان ما ينبغى ان يتخذ الناس من لبوس وان النبى صلى الله عليه وسلم لم يأخذنا بنوع خاص من الثياب او شكل معين من الازياء وانما ترك لنا ذلك لانه لم يبعث ليعلمنا كيف نلبس أثوابنا او نصور اشكالنا وانما بعث ليعلمنا كيف نعبد الله عز وجل وماذا ينبغى ان نتخذ الى السعادة فى الدنيا والآخرة من سبيل .

لذلك لم يقيد اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم انفسهم بزى خاص بل اتخذوا العمائم قبل الفتح ولبسوا القلانس بعده واستبدلوا المخيط من الثياب بالازر والأردية واتخذوا القصور الشامخة فى العراق والشام بل وفى المدينة نفسها وقد تحلى معاوية بالذهب والفضة ولبس الديباج والحرير ولعمرى انا لانسمح ديناً من ان نضيق بما وسع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نعرف ان الاسلام انما شرع حربا على الوثنية وماحياً لها وعدواً للباطل وقاضياً عليه فهو اظهر واتقى واكرم عنصراً من ان يأمر بتعظيم القبور والانصاب وتقديس الاحجار والاشخاص . وانما الذى ينبغى تعظيمه ويجب تقديسه والاذعان لسلطانه هو الله الذى لا اله الا هو وقد استأثر بالعزة والسطوة وانفرد بالعظمة والجلال .

قالوا : لا نعبد هذه القبور والاشخاص ولا نقدسها وانما نتقرب بها الى الله ونستشفع بها لديه . ولعمرى ما قالوا الا شراً وما ذهبوا الا الى بدع من الامر ومنكر من الباطل . فليس بين الناس وبين الله من سبب ولا وسيلة الا الطاعة الخالصة والانابة البريئة من الشرك والرياء والله عز وجل يقول (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) ويقول (ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولى) .

وانما التوسل بالاشخاص والتماثيل سبيل المشركين الخارجين عليه الذين انكرت عليهم عبادة الاصنام والتماثيل فقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومن ذا الذى يتقرب الى الله بشخص لا حول له ولا طول او تمثال لا حس به ولا حياة ثم يعتقد بعد ذلك انه صادق فى دينه مخلص فى ايمانه قد خلصت عقيدته من الشك وتمحضت لليقين .

نعرف ان الاسلام انما شرع محرراً للعقول والآراء مستنقذاً للافراد والجماعات

من الرق الادبى والمادى وبهذه المزية احيى الامم ورقى الشعوب فمن اين لهؤلاء المبتدعة القول بأن الاجتهاد فى الدين غى والتصريح بالراى اثم وايثار المنفعة للمسلمين مروق ومن قبلنا قد اجتهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدين وجهروا بآرائهم واختاروا المصالح للناس لم يتقيدوا الا بالكتاب والسنة وعلى سننهم مضى التابعون .

أفكان سلفنا الصالح مبتدعا مارقا كلا وانما هو الحرص على القديم السئ والتمادى فى الباطل المهلك قد انتهى بهم الى ما يقولون ويا ليتهم ذهبوا فى هذا الامر الى شئ مجمل او قالوا فيه مقالة موجزة قابلة للتأويل ولكنهم قد اكثروا القول وبسطوه وفصلوا الامر ولجوا فيه فزعموا ان دين المرء لا يصح الا اذا قرأ عقيدة السنوسى التى يعلمها الخليل اطفال الجنة الى غير ذلك مما لا مصدر له الا الاوهام والاباطيل

الآن قد اشرنا اشارة مجملة الى حقيقة الدين وبينا انه لا يتناول اكثر من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن زاد على ذلك فيه فقد ضل وأضل. ولنا فيما بعد فصول مبسوطة نفصل فيها القول ونبسط فيها الكلام

— طه حسين —

(الهداية) على ذكر ماجاء فى المقال السالف فى مسألة القبور وتقديسها يجمل ان نقتطف شيئا مما كتبه الامام ابن تيمية فى هذا الموضوع فى كتاب منهاج السنة ليظهر مرمى الشارع الاسلامى ومقاصده البعيدة قال :

قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يأمر بما شرعه المبتدعة من امر المشاهد ولا شرع لامته مناسك عند قبور الانبياء والصالحين. بل هذا من دين المشركين الذين قال الله فيهم (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال ابن عباس وعقيدة هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح لما ماتوا وعكفوا على قبورهم فطال عليهم الأمد فصوروا تماثيلهم ثم عبدوهم وقد ثبت عن النبى عليه السلام انه قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها وقد ثبت فى صحيح مسلم وغيره عن ابى الهياج الاسدى قال قال لى.

على بن ابى طالب رضى الله عنه الا ابعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادع قبرا مشرفا الا سويته ولا تمثالا الا طمسته فقرن بين طمس التماثيل وتسوية القبور المشرفة لان كليهما ذريعة الى الشرك كما فى الصحيحين ان ام سلمة وام حبيبة ذكرتا للنبى صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها بارض الحبشة وذكرتا للنبى من حسنها وتصاويرها فقال ان اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مساجد وصوروا تلك التصاوير اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة فقد ثبت من هذا ان النبى لم يشرع لامته ان يبنوا على قبر نبى ولا رجل صالح لا من اهل البيت ولا غيره مسجدا ولم يكن على عهده فى الاسلام مشهد مبنى لا على قبر نبى ولا غيره بل لما قدم المسلمون الى الشام غير مرة ومعهم عمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب وغيرهم لما قدم عمر لفتح بيت المقدس ثم لما قدم لوضع الجزية على اهل الذمة لم يكن احدهم يقصد السفر الى قبر الخليل ولا كان هناك مشهد ثم لم يزل الامر هكذا فى خلافة بنى امية وبنى العباس الى ان ملك النصارى تلك البلاد فى اواخر المائة الخامسة فبنوا ذلك البناء واتخذوه كنيسة ثم لما استنقذ المسلمون منهم تلك الارض اتخذها من اتخذها مسجدا بل كان الصحابة اذا رأوا احدا بنى مسجدا على قبر نهوه عن ذلك وكان عمر ابن الخطاب اذا رآهم يتناوبون مكانا يصلون فيه لكونه موضع نبى نهاهم عن ذلك ويقول انما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار انبيائهم مساجد من ادركته الصلاة فليصل والا فليذهب فهذا وامثاله مما كانوا يحققون به التوحيد الذى ارسل الله الرسل اليهم ويتبعون فى ذلك سنته صلى الله عليه وسلم والاسلام مبنى على اصلين الا نعبد الا الله وان نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع فالنصارى خرجوا عن الاصلين. وكذلك المبتدعون من المسلمين .

(العالم الاسلامى)

—(ماذا اصابه)—

—— فى العام الفارط ——

لم يكد يشهد العالم الاسلامى منذ قرون أنحس من هلال شهر محرم مفتاح السنة الفارط فلقد فقد الاسلام فى غضونها مملكتين عظيمتين هما فارس فى الشرق ومملكة الادارسة فى الغرب كما فقدت الدولة العثمانية ولايتيها الافريقيتين كانتا آخر لحمة بينها وبين سبعين مليونا من المسلمين بافريقية .

ولقد كان يكثر بين المسلمين قبل هلال ذلك العام شئ من حسن الظن ببعض دول أوروبا فكنا نرى قادة الحركة السياسية فى مصر يعتقدون فى اخلاص فرنسا ويعتمدون على تغريرات ساستها حتى قضوا فى ذلك عدة اعوام تبين لهم بعدها انهم كانوا يقيمون شوامخ آمالهم على ارض من خيوط العنكبوت ويرفعون صروح مشروعاتهم العظيمة على اركان من هواء الفضاء . ولقد كان من الميسور جدا ان يدرك أولئك الزعماء ان فرنسا لا يربطها بمصر ولا المصريين اشتراك فى الجنس او الدين او القارة او المصالح السياسية العامة وانما هى دولة لها بين الامة المصرية وعلى حكومتها اموال لابد لها ان تتمسك بجميع الوسائل التى تصيرها فى مأمن من الضياع او الأذى . وما ايسر ان تجد فى دولة بريطانيا اعظم كفيل وأحسن حارس . وماذا عسى ان تخسر فرنسا اذا هى اشترت بصداقة المصريين وخلفهم تلك المملكة الواسعة مملكة الادارسة التى تبلغ مساحتها ضعف مساحة مصر والسودان المصرى فتستمتع بما بها من مياه غزيرة وارض طيبة وكنوز لم تتشقق عنها الارض بعد ثم هى مع ذلك قد اتت على مالها فى مصر من المصالح المالية وديون الحكومة .

واذا كان مبدأ ذلك الانقلاب عام ١٩٠٤ م فانه لم يحس به تماما الا فى العام الماضى اعنى بدخول فرنسا فى المغرب الاقصى واغارة ايطاليا على طرابلس الغرب وبنى غازى .

ضربنا مثلا بالامة المصرية فيما سبق من اعتمادها على فرنسا وماهى ببدع فى تلك السذاجة وسلامة القلب فان الامة الفارسية قد غرتها ايضا بروق السياسة وقادتها

تمويهات المخادعين من السياسيين الى حيث فقدت استقلالها واصبحت نهبا مقسوما بين انجلترا وروسيا . تبعت حكومة فارس نصائح انجلترا وصدقت ذلك البلاغ الرسمى الذى قدمه اليها عميد بريطانيا العظمى سنة ١٩٠٧ متضمنا ما عقد لذلك العهد بين السير ادوارد جراى ووزير خارجية روسيا من الاتفاق التام على وجوب سلامة بلاد فارس من التقسيم وضرورة بقاء حكومتها حرة سالمة من التداخل الاجنبى وانه ليس لانجلترا ولا لروسيا حق التداخل فى شئون فارس الا فيما يختص بمصالح رعايا دولها فى تلك البلاد .

تلقت فارس الدستورية الفتاة ذلك البلاغ الذى انقلب غشاوة كثيفة على ابصار رجالها السذج الحسان الظن فلم يبصروا ما كان يدبر لهم بين بطرسبورج ولندن ولم يتوقعوا ان بريطانيا التى اهدتهم ذلك البلاغ السار المطمئن لا تبالى ان تتفق مع روسيا عدوتها التاريخية على تقسيم تلك المملكة التى كم قاتل اهلوها فى سبيل تحريرها من اطواق ملوكها الظالمين والتى لم تكد تقتطف شيئا من ثمرات جهادهم الدستورى العظيم . ولكن ابت الأقدار الا ان يغفل أولئك المساكين عن انفسهم فلم يتخذوا الحيطة باتخاذ الجنود والاكثار من آلات القتال بل صرفوا كل هممهم فى تنظيم بلادهم وتوفير اموالها بتدبير الجبايات كيلا يحتاجوا يوما ما الى القروض الاجنبية التى هى مفتاح زوال الحياة الاستقلالية . وقد يجوز ان يكون نصح لهم بعض سفراء الدول بذلك حتى تظل بلادهم خالية من الجنود الحامية ومن المعاقل والسلاح . ولعلنا لا ننسى تلك النصيحة التى قدمها لحكومة تركيا الفتاة المستشار المالى الذى جلب من فرنسا لاصلاح شؤنها المالية فان اول ما اقترحه فى هذا الصدد حل الجيوش العثمانية ضامنا كما كان يقول الا تعتدى دولة من دول اوروبا على شئ من املاك الدولة العثمانية . ولو ان احرار تركيا الفتاة خدعتهم تلك التمويهات ولم يعتصموا بالحزم والحيطة لسارع الفناء اليهم كما سارع الى تلك الحكومة الفارسية ولما خفق اليوم علم على بقعة من الارض . على ان هؤلاء على كثرة حذرهم وسلامتهم من السقوط فى تلك الهاوية السحيقة لم يسلموا من ان تذهب ولاياتهم الافريقيتان وان تتسعر عليهم نيران الصيب فيما بقى لهم من الاملاك باوروبا ولن تنعقد المؤتمرات فى عاصمة انجلترا محررة الرقيق وناصرة الضعيف ومؤيدة الاحرار فتعرض هنالك جزائرهم وولاياتهم على حكومات الصليب ثم يراد من الحكومة العثمانية صاحبة تلك الاملاك ان تخرج عنها لا لسبب سوى انها حكومة الاسلامية اسيوية .

على اننا اذا تدبرنا مصدر ذلك الشقاء واردنا ان نعرف كيف فقد العثمانيون طرابلس وكيف هم اليوم يصطلون نيران الحروب المتسعرة فى اوروبا نجده ينحصر فى سذاجة بعض سواسها وثقتهم بما كان يقدمه لهم ساسة الاوروبيين من العهود والوعود . فلكم سمعنا ان سفير المانيا كان يؤكد لحقى باشا الصدر فى ذلك العهد ان ايطاليا لاتقدم على احتلال طرابلس حتى كان من نتائج ذلك حمل حاميتها وسلاحها الى اليمن فلم يبق فى ولايتى طرابلس وبنى غازى جميعا من الجنود سوى اربعة آلاف لا يملكون سوى القليل من السلاح . وبذلك تهيأت لايطاليا الاسباب التى طالما ارتقبتها وآتت لها الفرص التى كانت فى ازمتها منذ جيل فى قبضة الجنود الطرابلسية لعهد الخاقان المخلوع فانقضت عليها انقضاض الثعاليب على غنم غفل عنها راعيها . ثم كانت تلك الوقائع التى اسفرت جميعها عن انتصار اهل طرابلس على قلة عددهم وانسداد سبل المدد فى اوجههم ولكن قضى الامر واتمت وزارة مختار ما يقال له الصلح بين ايطاليا وتركيا واستعملت فى شرائطه الفاظا مهما زينت وطليت فانما معناها انسلاخ طرابلس الغرب وبنى غازى عن جسم الدولة العثمانية

واذا كان منشأ تفريط ساسة الاتراك فى امر طرابلس وبنى غازى ثقتهم العمياء باقوال احد السفراء فانهم قد ابرزوا مثلا آخر لايقل عن سابقه فى غرابته وخطر نتائجه فلقد نسمع فيما يتداولون من الاحاديث ان سفير احدى الدول كان يؤكد لوزارة مختار باشا انه لاخوف من احدما على الروملى والبانيا فكان من نتائج هذه الغفلة المطبقة ان سرحت تلك الوزارة الجنود الاحتياطية التى كانت حاملة السلاح استعداداً لمقابلة ايطاليا اذاهى اقدمت على النزول بشئ من ثغورنا . فلما رأت حكومات البلقان ذلك سارعت الى تحقيق مكايدها التى دبرتها للدولة قبل ذلك باشهر والتى لم يحل دون تحقيقها سوى ما كانت اعدته وزارة سعيد باشا من الرجال والسلاح

واذا كانت السذاجة وضعف القلب وعدم التبصر قضت على ساسة فارس وتركيا ان يقعوا فى هذه الاشراك الظاهرة فلاعجب ان اهل المغرب الاقصى وهم على مانعلم من الجهل اسرع منهم اليها فلقد عمى اولئك المساكين عما تأتيه فرنسا فى بلادهم من مقدمات الفتح على وضوحها وزادهم عمى اتكالهم طورا على اموات اوليائهم وتارات على مناصرة انجلترا لعهد عبدالعزيز ثم المانيا بعد ذلك لهم . ولقد كان يذكر لأحدهم شئ عما تضمره فرنسا لبلادهم فما كان اسرعهم الى الاجابة بان المانيا ستحول دون مآربها .

ولا زالت الغفلة مغشية ابصارهم حتى ازالتها الجنود الفرنسية بمدافعهم وسيوفهم ورماحهم فهم وملكهم الواسع الغنى منذ العام الفارط فى قبضة الجمهورية الفرنسية الصليبية

والخلاصة ان قد انطوت بانطواء العام الماضى صحائف وجود مملكتين عظيمتين اسلاميتين كما تم فيه لدول الصليب الاحاطة التامة بافريقيا الاسلامية . ثم اضطرمت فيه نيران الحروب الصليبية بين حكومات البلقان والدولة العثمانية وسنرى عما قريب مصير ما بقى لنا فى اوروبا وعاقبة ما بقى لنا من الجزائر فى بحر سفيد وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

(تيار الاستعمار)

—(فى بلاد الاسلام)—

— ١ —

—(افريقية الغربية الفرنسية)—

من يلقى نظرة عامة فى مصورات الجغرافية قبل مائة سنة ثم يتبعها بنظرة اخرى فى التغييرات التى تعاقبت على تلك المصورات فى خلال تلك السنين يتبين ان تيار الاستعمار او الفتح الأوروبى يطغى تدريجيا وبسرعة مخيفة فى الممالك والاصقاع الشرقية عامة والاسلامية خاصة حتى لم يبق من تلك الممالك الأخيرة من حافظت على استقلالها السياسى ازاء هذا الخطر الأوروبى الا ثلاث دول واحدة منها وهى فارس تتنازعها من الشمال والجنوب دولتان ضيقتا عليها الخناق وسدت عليها المنافس والمسالك . وأخرى وهى بلاد الافغان حفظتها وعورة جبالها وشدة بأس رجالها من الفتوحات الأوروبية . والثالثة وهى الدولة العثمانية دولة الخلافة احاط بها الطامعون من كل جانب وهى تصرف كل مجهوداتها فى سبيل المحافظة على كيانها نسأل الله النجاة والخلاص من ذلك التيار الجارف .

اما ما بقى من البلاد الاسلامية اوالتى يكثر فيها ويسود العنصر الاسلامى فقد اصبحت تحت حكم الدول المسيحية وانما تختلف احوالها السياسية والاقتصادية باختلاف موقف كل منها ازاء ذلك التيار .

وانه لمن افيد المباحث واجدرها بمجلة اسلامية كبيرة مثل مجلة الهداية بسط الكلام فى صفحاتها عن امتداد تيار الاستعمار فى بلاد الاسلام وكيف سرى الى كل منها وكيف كان حالها قبل ان يمتد اليها وبعد ان طغى عليها وماهى الطرق التى ساعدت على استحفال امره وتعاظم شأنه . فان فى معرفة كل ذلك وتدبره دروساً وعبراً لوا اضفناها الى الدروس التى تلقيها علينا الحوادث كل يوم ربما تنفعنا ان كنا من تنفعه الذكرى .

ولذلك عن لى ان اطرق هذا الباب فى مجلة الهداية . وسأجعل مبحث اليوم خاصا بما كان من امتداد هذا التيار فى البلاد التى تسمى فى مصطلح علم تقويم البلدان الحديث « افريقية الغربية الفرنسية » وما وصل اليه الاستعمار فى ذلك القسم العظيم من القارة الافريقية وسأتبع هذا المبحث بمباحث آخرى عما كان من شأن الاستعمار الأوروبى فى البلاد الأخرى التى صادفها فى طريقه بالقارتين الافريقية والاسيوية .

كيف استولت فرنسا

— على تلك البلاد —

أصبح لفرنسا فى افريقية الغربية قدم راسخة ومملكة واسعة تحدها غربا شواطئ المحيط الاعظم (الاطلسى) وشمالا رمال الصحراء الافريقية الكبرى وشرقا وادى نهر النيجر ومستعمرة نيجريا الانجليزية وجنوبا خليج غينا ونفوذها مبسوط على ما بين تلك الحدود المتباعدة من الاصقاع الواسعة الا بعض مستعمرات للدول الأوروبية الأخرى على السواحل كمستعمرات جامبى وتوجو والنيجريا وسيراليون

الانجليزية وغينا البرتقالية وجمهورية ليبريا الحرة . فتبلغ مساحة افريقية الغربية الفرنسية وحدها اربعة ملايين من الكيلومترات يسكنها الآن اثنا عشر مليون نسمة نزلت فرنسا بهذه البلاد فى القرن السابع عشر من الميلاد وكانت اول جهة هبطتها هى السنغال وهى اقدم مستعمرات فرنسا فى افريقية ولما قامت الحروب المتعاقبة بين فرنسا وانجلترا فى زمن نابليون طرد الانجليز الفرنسيين من السنغال ولكنهم عادوا اليها سنة ١٨١٧ بعد سقوط دولة نابليون وانتهاء الحروب بين فرنسا وانجلترا فابتدأوا من ذلك العهد يجرون على سنة الاستعمار فى مبدأه وهى انشاء مراكز صغيرة على السواحل بقصد المتاجرة مع الاهالى ثم اخذوا بعد رسوخ قدمهم فى السواحل يتوغلون شيئا فشيئا فى الداخل . وهكذا يبدأ الاستعمار الأوروبى فى الأصقاع البعيدة المجهولة : يرسلون روادهم فيخبرون المواقع التى تصلح للاقامة على السواحل ثم بعد ان ترسخ قدمهم فيها يتوغلون اولا بقصد الاستكشاف ويستعينون بمن يأنس اليهم من الاهالى فيرشدونهم الى الطرق والمسالك ويجوبون انحاء البلاد فيعرفونها ويعرفون احوال اهلها وقوتهم وبذلك ينتهى دور الاستكشاف ثم يأتى بعده دور الفتح والغزو فيجدون السبيل امامهم ممهدا معروفا .

كانت مستعمرات فرنسا فى افريقية الغربية الى منتصف القرن التاسع عشر لا تتعدى السنغال والمراكز التى انشأها المستعمرون الفرنسيون على الشواطئ كما قدمنا ولكن نفوذ فرنسا ابتدأ يمتد فى داخلية البلاد من ذلك العهد وذلك ان احد الولاة الذين عينتهم الحكومة الفرنسية فى السنغال — واسمه فيديرب — وضع مشروعا للفتح جعل غايته بسط نفوذ فرنسا فى الداخل مبتدئا من وادى السنغال الى ان يصل مشرقا الى وادى النيجر ليجعل افريقية الغربية بذلك مستعمرة فرنسية . ولكنه لم يوفق الى ادراك غايته لانه وجد من القبائل البدوية النازلة على الشاطئ الأيمن من وادى السنغال مقاومة شديدة لم يتمكن بفضلها من ان يبطى نفوذ فرنسا فى مستعمرة السنغال نفسها واضطر فى سنة ١٨٥٣ الى ان يعقد مع تلك القبائل معاهدات تضمن له ان لا تعطل القبائل سير التجارة بتلك الجهات وذلك فى نظير جعل سنوى يدفع لها من واردات المستعمرة . وكانت هذه المعاهدات او « العادات » كما يسميها الفرنسيون الآن ترفقا دليلا على شدة بأس تلك القبائل وقوتها .

اخذ الفرنسيون من ذلك العهد يتوغلون جنوبا حيث لم يجدوا مقاومة شديدة لأن سكان الجنوب جلهم من السود الذين ليس لديهم من العصبية ما لدى القبائل

البدوية والمولدين . فسهل على فرنسا اخضاعهم ولم تلق عناء شديدا الا فى مملكة الداهومى حيث كان عليها ملك مشهور بالسطوة والقوة وهو الملك بهنزن فقاوم الفرنسيين مقاومة شديدة ولكنهم تمكنوا من فتح مملكته وضمها الى مستعمراتهم فى افريقية الغربية . ثم يوجد كذلك فى غابات مستعمرة ساحل العاج جزء كبير من الاهالى لايزالون يقاومون الفرنسيين ولكن فرنسا اخذت فى نزع السلاح ممن تقدر عليهم بالتدريج حتى تفقدهم قوة المقاومة . ويقدر الفرنسيون انه لاتمضى سنتان من الآن الا وتسود السكينه التامة فى تلك المستعمرة .

اما الجزء الشمالى المتصل بالصحراء الكبرى فقد صعب على الفرنسيين فى اول الامر اخضاعه لان سكانه من المولدين او من القبائل البدوية التى تنفر بطبيعتها من الحكم وعلى الاخص من حكم دولة مسيحية هذا فضلا عن ان تلك القبائل كانت كثيرة التنقل لا تستقر فى موطن واحد فلا يسهل اذلالها واخضاعها . وكانت الصحراء الكبرى ملجألهم يلوذون به اذا طاردهم الفرنسيون المغيرون وكانت فرنسا تقصر فى ذلك الوقت عن تعقبهم ومحاربتهم فى جوف الصحراء فظلت الجهات الشمالية لذلك بمأمن من الغارات الفرنسية .

عزمت فرنسا على ان تأخذهم بالمطاولة بعد ان لم تفلح فى اخذهم بالمناجزة فتركتهم زمنا حتى رسخت قدمها فيما وراءهم من اصقاع السودان والسنغال واخذت تجند من الاهالى السود جنودا تجعل عليهم ضباطا من جيشها لتغزو بهم الجهات الشمالية ولكنها بكل اسف لم تتكلف عناء كبيرا لما دب بينهم من دبيب الخلاف ولأنها استمالت اليها بعض رؤساء القبائل منهم بالمال والوعود الجميلة وجعلتهم عيونها فى غزواتها . واليك ما كتبه القومندان اومون فيرى فى كتابه (فرنسا فى افريقية) الذى وضعه سنة ١٩٠٥ اى قبل ان يتم لفرنسا اخضاع تلك الجهات الشمالية الصحراوية لها

ابان الكاتب اولا ما يعود على فرنسا من الفوائد الاستعمارية فيما لو بسطت نفوذها هناك فقال

« يوجد فى مواضع معلومة متفرقة فى تلك الجهات مناجم كثيرة للملح ومزارع خصبة وآبار ومراكز مهمة للتجارة تجتمع فيها القوافل التى تخترق الصحراء الكبرى ما بين تونس والجزائر ومراكش شمالا والسنغال والسودان الفرنسى جنوبا . فاذا توصلنا الى الاستيلاء على تلك الامكنة امكننا ان نخضع القبائل الضاربة هناك لان موارد رزقهم تكون فى قبضة يدنا .

« على ان الضباط الذين جابوا تلك الجهات قد اظهروا فى تقاريرهم مقدار اهميتها فى نظر القبائل التى تجوب الصحراء . وقد عرفوا المواقع التى يجتمع حولها البدو ويجذبهم اليها ما بها من المياه والمراعى والمزارع واظهروا ان هناك يجب ان ترسخ قدمنا لاخضاع قبائل الطوارق والقبض على مفتاح المواصلات بين الشمال والجنوب »

ثم اظهر الكاتب خطة فرنسا فى الاستيلاء على تلك المواقع فقال :

« على ان الامر ليس فى حاجة الى قوة كبيرة بل الى تدرج اساسه الحكمة والسياسة او بعبارة اخرى الى تداخل سلمى وذلك بان نجتهد فى حمل القبائل الضاربة فى تلك الجهات على قبول سلطتنا . وقد جاء بعض رؤساء تلك القبائل فعلا الى المواقع الفرنسية يطلبون حمايتهم من غارات خصومهم . فلنجتهد اذاً فى ان نكسب بعض ذوى النفوذ من رؤساء تلك القبائل بواسطة اهدائهم هدايا ثمينة . . . (كذا) او بمنحهم ميزات خاصة . . . وذلك لنستخدمهم فى اقناع قومهم بان لا ينفروا من سلطتنا » والحقيقة المؤلمة ان فرنسا لم تتكبد خسائر كبيرة فى اخضاع بعض الجهات الشمالية التى استعصت عليها فى اول الامر وآخر اعمالها من هذا القبيل انها احتلت فى يناير ١٩١٢ واحتين من الواحات الواقعة جنوب الصحراء وهما يتشيت وواته اما الذين ابوا الخضوع لها فقد أمعنوا فى جوف الصحراء ليكونوا بمأمن من غزواتها . ولذلك يعتبر الفرنسيون الآن ان افريقية الغربية الفرنسية بالحدود المتقدمة قد اصبحت خاضعة لهم خضوعا فعليا

—(سياسة فرنسا بعد الفتح)—

من يوم ان استولت فرنسا على تلك البلاد الواسعة واخضعت معظم سكانها وجدت بها مجالا واسعا لاستثمار خيراتها الكثيرة فرأت اولا ان تقسيمها الى جملة مستعمرات مستقلة بعضها عن بعض يحول دون توحيد مشاريع الاستعمار فيها ففى سنة ١٩٠٤ جعلتها مستعمرة واحدة اطلقت عليها اسم « افريقية الغربية الفرنسية » تشمل فى الحقيقة كل المستعمرات الداخلة ضمن حدودها وهى السنغال وغنيا الفرنسية ومستعمرة ساحل العاج والداهومى واعالى وادى السنغال ووادى

النيجر والجزء الشمالى الغربى الذى يطلق عليه الفرنسيون اسم « موريتانيا » نسبة الى كلمة « مور » التى يطلقونها على العرب اى بلاد القبائل العربية البدوية وعينت عليها حاكما عاما مثل الحاكم العام فى الجزائر مقره مدينة دكار على الشاطئ الغربى بالسنغال ولها ميزانية خاصة تحت ادارة الحاكم العام ومجلس الحكومة فى دكار ولكل مستعمرة من المستعمرات المكونة لافريقية الغربية نائب عن الحاكم العام يعمل تحت مراقبته

فلنبحث الآن ماذا عملت فرنسا فى تلك البلاد بعد ان بسطت عليها نفوذها وسلطانها . لابد من اجل ذلك ان نتكلم (اولاً) فى سياسة فرنسا مع الاهالى وعلى الأخص مع المسلمين (ثانيا) فى سياستها الاقتصادية والادارية

—(١ — سياستها مع الاهالى)—

حينما قلب الانسان طرفه فى الكتب التى وضعها دعاة الاستعمار فى صدد فتوحات فرنسا واعمالها فى افريقية لانجد الا ان فرنسا انما تفتح تلك البلاد الواسعة لتنشر فيها مبادئ المدنية ولتسعد اهلها وترقى بهم الى مصاف المتحضرين. ولكن من الغريب اننا نجد من خلال كتابات هؤلاء الدعاة مالا يتفق مع المبادى التى يقررونها وما يتجلى منه الغرض الحقيقى من الاستعمار وانهم يرمون الى محو كل هيئة او جماعة لا تريد ان تفنى وتريد ان تستبقى شخصيتها امامهم . واليك ما كتبته جريدة الطان فى ملحق لعددها الصادر فى ١٢ اكتوبر سنه ٩١٢ تعرف منه حالة المسلمين فى البلاد المبتلاة بالحكم الأوروبى قالت

« ان السكينة سائدة الآن فى جل انحاء افريقية الغربية الفرنسية ولكن الخطر الفرد الذى يتهددنا هناك هو انتشار الاسلام الذى يخطو خطوات لاسبيل للشك فيها فانه هو الذى يفرق بيننا وبين رعايانا ويقيم بيننا وبينهم حاجزا من سوء التفاهم . فيجب علينا ان نتبع فى مستعمراتنا سياسة تحول اولا دون انتشار مظاهر التعصب الاسلامى (اقرأ انتشار الاسلام) ثم تضمن لنا ثانيا كسب ثقة الاهالى السود »

واليك ما كتبه القومندان فيرى فى كتابه (فرنسا فى افريقية) فى هذا المعنى

« ان من بين العقبات التى تعرقل مساعينا فى بسط نفوذنا بافريقية توجد عقبة ليس اقوى منها ولا اشد تأثيرا وهى بلا شك عقبة الاسلام . فالاسلام هو دين كما انه مذهب سياسى ولذلك لم يأل جهدا فى مقاومتنا بالقوة كلما استطاع اليها سبيلا واذا ما انهزمت قوته الحربية اما منا فهو يقاومنا بمقاومة خفية اساسها

العقائد . فالاسلام بضمه شتات شمال افريقية وغربها يعتبر بالنسبة للمسلمين رابطة قوية تزيد فى قوتها عن الروابط الجنسية ومن الغريب انه يمتد وينتشر على مرأى منا وفى البلاد التى نحكمها

« واذا اخذنا خريطة القارة الافريقية واردنا ان نعرف الجهات التى اتعبتنا فى فتحها واخضاعها فلنصبغ باللون الاسود البلاد التى يدين اهلها بالاسلام نعرف انها هى التى اضطرتنا الى ان نصرف اكثر مجهوداتنا لتكوين مملكتنا الاستعمارية

« ففى الجزائر مثلا اضطررنا الى نصف قرن من الزمان لاخضاع اهلها وفى السنغال تعب فيديرب فى محاربة المسلمين طويلا وكذلك الحال فى السودان الفرنسى ويوجد بعض اصقاع تعتبر رسميا من جملة مستعمراتنا ولكن سلطتنا فيها لاتزال اسمية لما تأصل لدى المسلمين من اهلها من الكراهية الشديدة للمسيحى

« اما البلاد التى اهلها وثنيون كالكونجو والجابون وبمبارا مثلا فقد رسخت فيها قدمنا بسهولة دون ان نتكلف عناء كبيرا »

هذا مايقوله دعاة الاستعمار جهارا وما اسهل مايستنتج القارئ منه عواطف المستعمرين الأوروبيين ازاء المسلمين وهل يريدون بهم خيراً ام شرا .

وهنالى كلمة وجيزة اقولها استطراداً لان المقام يستلزمها . لقد مر بك ان البلاد التى قاومت الغزوات الاوروبية هى البلاد التى يدين اهلها بالاسلام ولاشك ان هذه المقاومة وان اعتبرها المستعمرون من الجنايات الا انها اصدق دليل على حياة الأمم الاسلامية وابائها ان تذل للاجنبى المغير عليها . ولطالما سمعنا من الطاعنين على الاسلام انه هو سبب تأخر من يدينون به من الامم وسبب جمودهم وموتهم فهل هناك دليل على بطلان هذه المطاعن اكثر من هذه المقارنة التى بينها ذلك الكاتب الفرنسى وهو يقول ان البلاد الوثنية لا تقاومنا مقاومة تذكر ولكن البلاد الاسلامية هى التى نجد فيها مصاعب كثيرة لبسط نفوذنا فيها وحيثما صادف المستعمرون فى طريقهم اقواما واما مسلمة عرفوا ان أمامهم متاعب ومجهودات جمة . وبديهى ان الاسلام لو كان على فطرته فى تلك البلاد ولو اهتدى اهلها بهداه واخذوا بما يرشدهم اليه من اسباب الحياة والرقى لتضاعفت قوة مقاومتهم ولكن الاسلام فيها سد امنيها لايستطيع المستعمرون ان يتجاوزوه بدلا من ان يكون سبب متاعبهم . فلنعد الى ما كنا فيه : درس

الفرنسيون احوال الاهالى فى تلك المستعمرة وغيرها فعلموا ان عصبية المسلمين آتية من التفاف القبائل والعشائر حول رؤسائها وطاعتها لهم ومن نفوذ الزعماء الدينيين الذين يبثون بينهم مايعرفونه من قواعد الدين الحنيف وان الاهالى السود يعترفون للعرب والمولدين بالرآسة فيعتز هؤلاء ويقوون بهم . فاخذ الفرنسيون يفسدون هذه العصبية باستمالتهم بعض الرؤساء ومحاربتهم للمعاهد التى ينشئها الزعماء الدينيون (المراطبون) ثم بالحيلولة بين البيض والسود وتفهيم هؤلاء بان لاسلطة للعرب عليهم حتى يضعفوا عصبيتهم ويذلوا الجميع .

واليك دليلا على ذلك ماقاله المسيو بونتى الحاكم العام لافريقية الغربية الفرنسية فى خطبة له القاها فى يونيو سنة ٩٠٩

« يجب ان نتبع هناك سياسة الجنسيات اى ان ننتخب الرئيس من القبيلة او من الجماعة التى هو منها و يجب ان لا نجعل لجنس على جنس ميزة اورآسة وان نحارب الرؤوس الكبيرة لكسب ثقة الجماهير لان هذه الرؤوس تحول دائما بيننا وبين العامة وتميل بهم الى حيث تكون منهم عصبية اسلامية فى البلاد التى انتشر فيها الاسلام »

نشرت جريدة الطان التى تعتبر فى عالم السياسة لسان حال الحكومة الفرنسية هذه الخطبة فى ملحق لعددها الصادر فى ١٢ اكتوبر سنة ٩١٢ وأطرت الخطيب ثم قالت هى بعد ذلك :

« ولقد اخذنا فى مراقبة تيار التعصب الدينى (!) بالهيمنة على الزعماء الدينيين (المرابطين) والمبادىء التى ينشرونها وتقليل عدد مدارسهم شيئاً وشيئا ونشر لغتنا بين الاهالى بقدر المستطاع . وفى هذا المقام يجب ان نثنى على همة المسيو بونتى الذى منع استعمال اللغة العربية كلغة رسمية فى المحاكم الاهلية لان تلك اللغة هى مطية الاسلام ينتشر بفضلها بين من يتكلمون بها على انه باى حق تستعمل تلك اللغة فى المحاكم هناك مع انها ليست لغة جل الاهالى فى افريقية الغربية ؟ لاشك ان العدل يقضى (!) بان تكون اللغة الفرنسية هى اللغة العامة المشتركة فى تلك المستعمرة»

« على ان المجهودات التى نبذلها هناك تتجه نحو ترقية حالة الاهالى السود بالتعليم وباصلاح حالتهم الصحية والمعاشية وقد جعلنا الغرض الجوهرى من تعليمهم نشر اللغة الفرنسية بينهم مع تلقينهم المبادىء الاولية العلمية . وقد تمكنا لذلك من انشاء مائتى مدرسة اولية فيها احد عشر الف تلميذ . ويوجد عدا ذلك مدارس اسلامية حرة يدرس فيها الاولاد اهم سور القرآن ولكننا اشترطنا على المدارس الاسلامية الرسمية فى سان لويس وغانا وتمبكتو ان تدرس اللغة الفرنسية لتلاميذها »

هذا ما عمله الفرنسيون فى افريقية الغربية من الوجهة السياسية وكله يرمى الى خضد شوكة السكان الذين لهم شئ من العصبية وهم المسلمون والقبائل البدوية والمولدون لانهم بالطبع لا يقبلون ان يفنوا او يتلاشوا امام تيار الاستعمار فحاربتهم فرنسا فى عصبيتهم وفى معاهدهم وفى دينهم وفى لغتهم وهى تريد ان لا يبقى هناك سوى السكان الصلبيين اى السود لتجعلهم جنودها وعدتها وآلاتها فى استثمار خيرات تلك البلاد .

— الجنود السود —

يذكر القراء ماكان للجنود السود الذين جلبتهم ايطاليا من مستعمرة الارتيره واستخدمتهم فى صفوف جيشها المحارب فى طرابلس الغرب وكيف كان هؤلاء الجنود فى مقدمة جيشها يتحمل عنه رصاص المجاهدين من المسلمين . وربما كان ذلك مدعاة الى الدهشة ولكن ايطاليا كانت فى هذه الطريقة متبعة سنة فرنسا فان لديها الآن جيشا من الجنود السود تعتمد عليه اعتمادا كبيرا فى توطيد اركان مملكتها الاستعمارية . وجدير بنا ان نعرف كيف انشأت فرنسا هذا الجيش فليمعن القراء نظرهم فيما اعربه فى هذا المقام عن جريدة الطان الفرنسية فان فيه لعبرة المعتبر . قالت فى ملحق عددها السابق :

« عندما تقاسمت دول أوروبا القارة الافريقية كان البعض يهزأ بالقسم الذى وقع فى نصيب فرنسا ولكن ستانلى (الرحالة المشهور) رد عليهم بقوله ان الفرنسيين قد اتخذوا الصفقة الرابحة لانهم اخذوا بلاد الجنود

« وقد تحقق قول الرحالة فان افريقية الغربية الفرنسية هى ينبوع كبير للجنود السود فبهذه الجنود قد فتحنا السودان الفرنسى واخضعنا مملكتنا الواسعة فى

افريقية الوسطى [١] وبهم ايضا نحارب فى مراكش ولذلك اصبحت مسألة
جيشنا الاسود فى افريقية موضوع عناية حكومة الجمهورية .

« اما عن قيمة هؤلاء الجنود فقد بينها الكولونيل مانجان فى خطبة له القاها
سنة ١٩١١ قال عنهم :

« انكم تعرفون الصفات الحربية التى امتاز بها الرماة السنغاليون لانكم ترون
منهم عددا كبيرا فى جيشنا فلا يوجد جنود يفوقونهم فى مقاومة المتاعب والاكتفاء
بأقل الحاجات والصبر على المشاق فى الاسفار البعيدة التى يقطعونها سيرا على
الاقدام بلا ضجر ولا تململ حتى ولو قل زادهم وحرموا نومهم . وقد شاهدنا
كثيرا من فرقهم يقتل منها ويجرح عدد كبير ومع ذلك لا يؤثر هذا فى القوة
المعنوية فى الجنود الباقين . وكثيرا ما حاربت فرق منهم عدة ايام على التعاقب
ومع ذلك لم يكلوا ولم يضعفوا فهم تحت قيادة ضباطنا الفرنسيين يصدون هجمات
كل عدو يقف امامهم .

« انا لا انكر ان هؤلاء الجنود لم يدخلوا فى معارك يستخدم بها العدو احدث
المدافع لان مدافع الدراويش مثلا فى فاشوده وبهنزان فى الداهومى والساموری
فى قونج والسلطان رباح فى قسيرى والملكه رنافالو فى مدغشقر لا تجارى مدافعنا
التى حاربناهم بها ولكن الجنود السود قاوموا ببسالة كل هجمات الاعداء سواء
كانوا من متوحشى الغابات فى خط الاستواء او من قبائل الطوارق او العرب فى
الصحراء او من المغاربة فى مراكش فلا محل للشك فى انهم سيبرهنون على شجاعتهم
فى المقاومة حتى فى المعارك التى تستخدم فيها المدافع الحديثة لان الامر الذى يفوقون
به الجنود المتحضرة انهم ليسوا من ذوى الامزجة العصبية السريعة التأثر فبينا نرى
الجنود المتحضرة تفقد قوتها وشدتها اذا تهيجت اعصابها بسبب حرمانها من النوم
مثلا نرى هؤلاء الجنود السود ينامون ملء الجفون بلا مبالاة بالرصاص المتساقط
قريبا منهم .

« على ان هؤلاء الجنود ليسوا بحديثى عهد فى ميادين القتال فقد كان الخلفاء
الاندلسيون يستخدمونهم فى صفوف جيوشهم وابلوا البلاء الحسن فوق هضاب
اسبانيا القارسة البرد .

[١] تمتد املاك فرنسا فى افريقية الوسطى من ساحل النيجر الى ما حول
بحيرة تشاد من البلاد لغاية حدود السودان المصرى وسنفرد لها بابا خاصا

وكان منهم عدد فى جيوش الثورة الفرنسية ولهم مواقف مشهودة فى حرب
القرم . وكانت الممالك والامارات التى تعاقبت على شواطئ افريقية الشمالية
تستخدمهم وخصوصا فى مراكش حيث كان لدى مولاى اسماعيل فى القرن
السابع عشر جيش مؤلف من ١٥٠ الفا من الجنود السود ولا يزال الحرس
الخصوصى لسلطان مراكش الآن من اولئك الجنود »

وقد نشرت الطان فى عددها الصادر فى ٤ فبراير سنة ١٩١٢ حديثا للمسيو
بونتى الحاكم العام لافريقية الغربية الفرنسية فى شأن هؤلاء الجنود قال فيه :

« ان افريقية الغربية الفرنسية يسكنها الآن من ١٢ الى ١٥ مليونا من النفوس
ويذهب بعض الضباط والكتاب الى انه يمكن تجنيد جيش منهم يتراوح بين ٢٠٠
الى ٣٠٠ الف من السود ولكن من رأيى ان نسير فى هذه المسألة ببطء واناة .
فلدينا الآن جيش من السود يقرب من عشرين الفا يمكننا ان نصل به الى
ثلاثين الفا دون ان ننقص عددا كبيرا من الايدى العاملة فى استثمار خيرات
تلك البلاد لان الذى يهمنا من هذا الجيش ان نجعل منه قوة تحفظ لنا افريقية
الغربية وقوة نستخدمها فى غيرها من المستعمرات . فالقوة المرابطة هناك تبلغ
عشرة آلاف جندى وهى كافية لحفظ المستعمرة .

اما القوة التى يمكننا جمعها من افريقية الغربية لنستخدمها فى الانحاء الاخرى
من مملكتنا الاستعمارية مثل افريقية الشمالية وافريقية الوسطى ومدغشقر فهى التى
تهمنا اكثر من الاولى . ويمكننى القول بان فى استطاعتنا حشد عشرين الفا ايضا لهذه
الغاية ومهما يكن من الامر فانه يمكننا بشئ من النظام والادارة ان نجعل من
افريقية الغربية الفرنسية ينبوعا لا ينفد من الجنود السود »

وقد اصدرت الحكومة الفرنسية فعلا بناء على مساعى هذا الحاكم قانونا فى
٧ فبراير سنة ٩١٢ يتضمن نظام التجنيد الجديد فى تلك البلاد جعلت به
التجنيد اجباريا اذا رأت الحكومة لزوما لذلك واخذت فعلا فى تنفيذ هذا
القانون وجندت عددا كبيرا من كافة انحاء المستعمرة ولا تسل عما استعمل
عمالها من القسوة والشدة فى جمع انفار القرعة قسرا . والفرنسيون يعتبرون الآن
ان افريقية الغربية الفرنسية اصبحت بهذا النظام الجديد كفيلة بان تضمن لفرنسا
سلطها الفعلية فى كافة مستعمراتها الافريقية .

— سياسة فرنسا الاقتصادية —

بقيت لنا كلمة الآن فى سياسة فرنسا الاقتصادية فى تلك البلاد تتم بها موضوع اليوم :

لا جدال فى ان الفرنسيين قد نبغوا فى ميادين الاقتصاد والمال فميلهم الى التوفير غريزى اكتسبوه بالتربية والدراسة ومهارتهم فى المسائل المالية امر معروف واموالهم لها عمل كبير فى اكثر اسواق العالم . وبفضل هذه الصفات والميزات امكنهم بعد ان اخضعوا افريقية الغربية ان يستثمروا خيراتها الوفيرة وهم يعملون بجد ونشاط فى هذا الميدان لتروج اسواق باريس ومرسيليا وبوردو وغيرها وتتسع ثروة فرنسا التى اكسبتها قوة كبيرة فى المعترك الدولى العام . ومن لنا فى الدولة العثمانية برجال يعرفون كيف يستثمرون خيرات بلادهم مثلما يستثمر هؤلاء المستعمرون بلاد غيرهم بل من لنا فى مصر برجال يعملون بعزيمة صادقة فى ميادين الاقتصاد لنسترد بهم وجودنا الاقتصادى الذى فقدناه وضيعناه بتفريطنا وتبذيرنا وقصر نظرنا بعد ان فقدنا وجودنا السياسى بغلطات حكامنا السابقين فلينظر القراء كيف عمر الفرنسيون (لمصلحتهم) مستعمراتهم فى افريقية الغربية

كان المسيو روم الحاكم العام السابق لتلك المستعمرة اول من فكر فى وضع مشروع لتعمير البلاد واستثمار ثروتها الطبيعية وكانت فكرته متجهة اولا نحو انشاء سكة حديدية تقرب المتباعد من انحائها وتخرج كنوز اراضيها تبتدئ غربا من دكار وسان لويس على المحيط الاعظم وتقطع نهر السنغال ثم تسير مشرقة حتى تقطع نهر النيجر عند منبعه الى ان تصل بعد ذلك الى وادى ذلك النهر على حدود المستعمرة شرقا ثم تتصل هذه السكة الرئيسية بسواحل تلك المستعمرة غربا وجنوبا فيصل منها فرع الى كونا كرى ميناء غينا الفرنسية وفرع آخر الى بجر فيل بساحل العاج وفرع ثالث الى بورتونوفو على ساحل الداهومى وان تصل بين هذه الفروع فروع اخرى موازية للسكة الرئيسية . وضع اساس هذا المشروع منذ ست سنوات وكان طول الخطوط التى شرع فى مدها يتراوح بين خمسة آلاف وستة آلاف كيلومتر تم منها الآن

نحو ٢٥٠٠ كيلومتر وقد عزمت حكومة المستعمرة على عقد قرض بستة ملايين جنيه لاتمام الخطوط الباقية وتوسيع بعض الثغور واصلاحها تسهيلا للمواصلات والنقل والفرنسيون يصرفون على هذه المشاريع بسخاء لعلمهم ان السكة الحديدية لا تمتد فى جهة الا وتعمر اراضيها وتكثر مزارعها ولاعتقادهم ان ما يقترضونه من الانفاق على تلك المشاريع سيستوفونه من واردات المستعمرة بعد زيادة ثروتها .

وقد استدروا بفضل الخطوط الحديدية التى تم انشاؤها للآن خيرات كثيرة لان الاراضى هناك فى غاية الخصب وهى صالحة للزرع اذا اعتنى بها وسهل نقل حاصلاتها ففى سنة ١٩١١ كانت صادرات تلك البلاد تقدر بخمسة ملايين من الجنيهات تقريبا منها اربعة ملايين قيمة الصادرات الزراعية . واهم انواع زراعتها المطاط (الكاوتشوك) والحبوب خصوصا الذرة والفول السودانى ثم الارز والنخيل والنيلة والدخان والفواكه وخصوصا الموز الذى يزرعون منه الآن كميات وافرة وقد ابتدأوا يجربون زراعة القطن . ويوجد عدا ذلك غابات كثيرة يقطعون منها اخشابا للتصدير ويستخرجون من بعض الاشجار الصمغ العربى ويصدرون منه وحده سنويا مقدار مليون وستمائة الف فرنك . وبها مراع كثيرة يربون فيها انواعا متعددة من الماشية كالخيول والجمال والثيران والحيوانات المأكولة التى يصدرون منها عددا كبيرا كل سنة كالبقر والمعز ورؤس الضأن وقد عنيت بها الحكومة هناك فعينت فى كل مستعمرة عدة مفتشين بيطريين لتحسين حالة المواشى ومعالجتها من الامراض التى تصيبها وفى تلك البلاد ايضا معادن كثيرة منها الملح فى الجهات الشمالية والذهب فى السنغال والسودان وقد تألفت شركات فرنسية لاستخراجه فى السنغال وغينا والبحث عنه فى الجهات الاخرى كساحل العاج ويوجد على السواحل مصايد كثيرة للاسماك وقد اوعزت الحكومة الفرنسية بتأسيس عدة شركات كبيرة لاستثمار خيرات تلك البلاد الزراعية تساعدها فى مشاريعها فتقطعها الاراضى الواسعة الخصبة وتسهل لها طرق اصلاحها وتباشر هى زراعتها بالطرق الحديثة مستعينة بالمهندسين والزراعيين الفنيين وترسل حاصلاتها بفضل الخطوط الحديدية الى السواحل ومن هناك تنقلها البواخر الى الثغور الفرنسية والحركة التجارية فى تلك البلاد آخذة فى الزيادة بسبب زيادة مسطح الاراضى المزروعة منها وحظ الاهالى قاصر على استئجارهم فى المزارع والمراعى . هذا مثال من الاستعمار الاوروبى وهكذا تتغلب القوة على الضعف والحياة

والحركة على الجمود والموت وفوز العلم على الجهل والغنى على الفقر والاتحاد والتضامن على التفرق والتخاذل . ان فى هذا لبلاغا لقوم يعقلون .

عبد الرحمن الرافعى
المحامى

أنباء العالم الاسلامى

—(النهضة الاسلامية فى الصين)—

—— نقلا عن جريدة ——

بيسا أخبار (الهندية)

ألف الجنرال دولن كتابا يتعلق باحوال مسلمى الصين فى الوقت الحاضر وقد رأينا ان نقتطف منه بعض المعلومات الآتية : ان كثرة المسلمين فى الصين توجد فى ولاية (ابوتن) وعلماؤها اكثر دراية وتقدما من اية ولاية اخرى وقد نشأ فى الصين فى هذه الآونة مذهب جديد يمنع كل الخرافات القديمة ويسمى هذا المذهب فى اللسان الصينى (بسيتكاؤ) واتباعه فى الاكثر اهل خبرة وتبصرة ولذلك لا تجد الدسائس الاجنبية رواجا بينهم وكذلك يوجد فى الصين علماء من تركستان ودار السعادة كمثل الشيخ على رضا افندى والشيخ حسن حافظ اللذين هما من علماء الاستانة ويجتهدان الآن فى انتشار المذهب والدين والمسلمون اكثر وطنية وغيرة من الوثنيين وقد وافقت على كل ما ذكرناه صحيفة (ديبش كولونيل) الفرنسية حتى قالت ان جمهورية الصين ما نجحت واستقرت فى تأسيسها الا بواسطة المسلمين وبهذا السبب اخذ المسلمون حظا وافرا فى الحكومة الحاضرة وقالت البلاغ ان المسلمين والمغوليين وان كانوا متحدين فى الجنسية لكن فى العادات مختلفون اختلافا عظيما حتى فى الافيون الذى يعتبرون تناوله من العادات القومية كذلك النساء المسلمات ينفرن من الافيون ولا يملن الى شرب الدخان والمسلمون توجد عندهم الشجاعة

والشهامة اكثر من غيرهم ولذا تراهم ينخرطون فى سلك العسكرية بانشراح وطيب خاطر وتجد مدارس الحكومة غاصة بطلبة العلم المسلمين . والمسلمون يسعون الآن لانشاء المدارس والمكاتب الاهلية وما اقتصروا على هذا فقط بل جعلوا التعليم الدينى اجباريا لكى يتسنى لهم الدخول فى مدارس الحكومة العالية وهم وان كانوا اصحاب النفوذ فى الحكومة الا انهم لا يلتفتون الى الجنسية بل رائدهم العدل والمساواة وحب الوطن ولذا جعلتهم الحكومة الجمهورية ساعدها وعضدها وفقهم الله لما فيه سعادة دينهم وابعد عن قلوبهم الدسائس الاجنبية والوساوس الشيطانية

—(المؤتمر الاسلامى الصينى)—

ارسل مكاتب جريدة وقت الروسية من بكين (عاصمة) الصين ما خلاصته انعقد فى بكين المؤتمر العام بتاريخ ٢٢ يوليه سنة ١٩١٢ فدعوا المسلمين جميعا بواسطة الجرائد والاعلانات الخصوصية للاجتماع فى جامع خوشيع (اى الشرق) فامتلأ الجامع ورحبته بالمسلمين وارسلت العربات الخصوصية لبعض الكبار كالمفتى عبد الرحمن وامثاله واستقبلوهم بالاجلال والاحترام وبعد ما تم اجتماع الناس جاء المندوب من طرف يوانشيكاى رئيس الجمهورية ووكيل آخر من طرف الوزارة الداخلية فالمندوب الذى جاء وكيلا عن الرئيس هو مسلم يدعى عبد الله من اركان المعارف وكل منهما خطب خطبة كلها عبر

—(خلاصة تقرير عبدالله افندى مندوب رئيس الجمهورية)—

ايها السادة الكرام: قد ارسلنى الرئيس يوانشيكارى لكى احيي واهنئ مؤتمركم نيابة عنه وابين اشتراكه فى هذه الجمعية اشتراكا قلبيا ولا يخفى عليكم أن فى تأسيس هذه الجمعية الاسلامية فوائد جمة لكم وكذلك للوطن ان الوطن الآن ايها السادة فى احرج وقت من اوقاته فاحتياجه للائتلاف والاتحاد بين ابنائه أمر لا بد منه فالمسلمون الذين قد اشتهروا بين الانام بالشجاعة والشهامة والصداقة وحب الوطن ينبغى لهم ان يجتهدوا فى سبيل حفظ الوطن اجتهادا بليغا والحق يقال ايها السادة اننا كلنا ابناء هذا الوطن العزيز يجب علينا ان ننقذ بلادنا مما يحيط بها من الهلاك والدمار ونبذل النفس والنفيس فى تقوية الجمهورية وتأييدها . والمسلمون ايها

السادة وان كانوا قد عاشوا احرارا فى زمن الاستبداد ولكن بعد الجمهورية اذا اجتهدوا وسعوا فى حفظ قوانينها واساسها فهى توسع لهم حقوقهم اكثر مما كان قبلا .

واما من حيث الديانة فلا يخفى ان شرف الاسلام ورفعته كما هو امر مقدس فى نظر الصينى كذلك هو مقدس فى نظر الجمهورية وبهذا يكون المسلمون احرارا فى دينهم وعوائدهم المذهبية — وما دام المسلمون يحافظون على دينهم بواسطة اللغة العربية فأول شئ اوصيكم به ايها الاخوان العظام اخذها بالنواجذ ونشرها بين المسلمين فى الاقطار الصينية ثم ختمها بقوله فليحى المسلمون ولتحى الجمهورية فصفق له الجميع ثم قام الوكيل المرسل من طرف وزارة الداخلية فقال ايها السادة العظام ان وطننا المكرم كان قد اوشك على الهلاك بسبب الاستبداد والجهالة فلما راى ذووا الافكار الراقية انقراضه واضمحلاله تركوا اوطانهم وارتحلوا الى البلاد الاجنبية واسسوا فى تلك الممالك والعواصم جمعيات مختلفة سعت ليلا نهارا فى انقاذ الوطن من التهلكة وجاهدت فى سبيل ذلك بالاموال والانفس فالجمهورية اليوم هى عبارة عن ثمرة الجهاد لاولئكم البواسل من الشيوخ والشبان فيجب علينا ان نجتهد للمحافظة على هذه الدرة اليتيمة والمرجو من المسلمين الذين بذلوا اموالهم وانفسهم لانشاء الجمهورية ان يعملوا على صيانتها وتقويتها وبعد تمام خطبته صفق له جميع الحاضرين ثم القيت بعده عدة خطب تدور حول المحافظة على الجمهورية وكانت موسيقى العسكرية تطرب الجالسين بعزف الحان الجمهورية ونثر طلاب المدارس ازهارا صفراء على الوكيلين ثم انتخبوا رئيساً للجمعية بالاتفاق رجلا من الاماجد يسمى عبد الله وهو شاب نجيب خرج من المدرسة الصينية وعينوا مفتى العاصمة عبد الرحمن افندى وكيلا لذلك الشاب وبعد ذلك انتخبوا اعضاء الجمعية فانتخبوا من اكابر مسلمى العاصمة كمثل ابى بكر افندى من ائمة بكين ومحمد صالح افندى صاحب جريدة (آياقوباو) الاسلامية وبعد الكل قام الاستاذ السيد طاهر افندى فخطب خطبة بليغة بالعربية وهذه خلاصتها ان حياة الامم وسعادتها مرتبطة برباط الاتحاد والاتفاق ولذا ترى كثيرا من الامم تعيش عيشة راضية بائتلاف واتحاد ابنائها محافظون على حقوقها بل تبقى حاكمة ومسيطرة على غيرها وقد ختم كلامه بقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) الاية

—(مقاصد الجمعية الاسلامية فى بكين)—

الغرض الاول من تأسيسها السعى الحثيث فى ترقى مسلمى الصين الذين عاشوا منذ قرون تحت سيطرة المنشوريين بعيدين عن التعليم والتربية والصناعة و التجارة حتى تسود الاخلاق الاسلامية والعوائد الدينية فهى تسعى وتجتهد لحمل المسلمين على الاخذ بدينهم القويم والاشتغال بالمسائل الاقتصادية والتجارية ومركز هذه الجمعية يكون فى بكين وستكون لها فروع اخرى فى كل نواحى الصين حيث يوجد المسلمون وقد طبعت برنامجها لتبين غايتها ومقاصدها وقد نشرته بين المسلمين وارسلوا كذلك نسخة الى رئيس الجمهورية للتصديق عليها واحالها الرئيس الى جهة الاختصاص وقد اعجب كثيرا بهذه النهضة الاسلامية العظيمة . وسننشر فى العدد الثانى تفصيل البرنامج .

—(انتباه الاسلام فى روسيا)—

كثير من المسلمين لا يعلمون احوال اخوانهم فى الدين المحكومين بالامم المسيحية ودرجة رقيهم المادى والادبى ومنهم من يعتقدون انهم بتضييق الامم الصليبية عليهم عماة عن العلوم خرق المكاسب محرومون من كل ما يعود عليهم بالنجاح ولكن قد شاهدت فى سياحتى فى اكثر الآفاق وسعيى فى مناكب الارض ابتغاء الوقوف على حالة اخوانى المسلمين فى ارجاء المعمور انهم انفجروا من الضغط واخذت اجسامهم تبرأ من العلل فطفقوا يلجون ابواب العلوم والمعارف فاليوم تراهم دائبين على تحصيل منافعهم المادية بكل جد منكبين على درس العلوم بمنتهى الكد وبذلك يصح ان نقول قد بدأ ولله الحمد والمنة الانتباه فى العالم الاسلامى ينمو وينتشر فترى العلم فى ترق عظيم وتقدم محسوس فانى اجتمعت بكثير فى اماكن متفرقة ودققت احوالهم الحاضرة والماضية وتتبعتها ونظرت فى مستقبلهم .

وسأقص عليكم قبل كل شئ آخر كلمة هى نتيجة بحثى وهى ان مستقبل الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا فى شروق والغربيين فى غروب .

ولا ارى لزوماً لاثبات ذلك فانه قانون طبيعى . لا يمكن ان يتغير او يتبدل .

وسأعرض عليكم اولا بعض حقائق عن انتباه الاسلام عنوان مقالتى هذه
تتعلق بمسلمى الروسيا وطنى ولا اذهب بك بعيداً لتعلم احوال مسلمى الروسيا
بل متى التفتنا نظرنا الى احوال مسلمى الروسيا قبل خمس وثلاثين او اربعين
سنة لا يمكننا ان نجد باسم العلوم والمعارف سوى مدارس قديمة ولا يعلم فى هذه
المدارس غير العلوم الدينية واذا ما اردنا البحث عن ادباء التتر فى ذلك الزمن يمكن
ان نجد اثنين او ثلاثة يقرأون ويكتبون . ولم يخلفوا آثارا ذات بال بعد
القيوم الناصرى وشهاب الدين المرجانى وآق ملا وملوكاى ولا اثر للمكاتب
الابتدائية اصلا وقتئذ وان وجدت فترى بهامن لا يحسن التلفظ بكلمة المكتب
بل يقول ذهبت الى (المفتك) وجئت من (المفتك)

وكان منبع العلم بلدة بخارى فشرف العلم منحصر فيها ومرجع الاسلام لها
وعدد المحصلين فى مكاتب الحكومة يتراوح بين الاثنين والثلاثة وعلى الاكثر
يبلغ الخمسة وهم مكروهون للغاية فى ملأ من المسلمين لا يقل عن اربعة اوخمسة
ملايين . ومتى قاموا بواجبات دينهم يستحقرهم المسلمون وينظرون اليهم بازدراء
واما الثروة فلم يكن فى الروسيا اجمعها مسلم مثر .

ولا تجد من يعرف اللسان الروسى الا نادراً وان وجدت فتجد شخصاً او
شخصين فى الولاية باطرافها يتكلم به ناقصاً جدا .

وبعد ان اتى حين من الدهر على مسلمى الروسيا بهذه الصورة نرى اليوم
حالهم فى تقدم يذكر وترق يشكر رغماً عن قلة تغيير نظام المدارس فان الادباء
والشعراء والمحررين اصبحوا يعدون فيها بالمئات والمؤلفين بالآلاف والمكاتب الابتدائية
وان لم اعلم عددها لكن اعلم ان اغلب كتبها التى تطبع تبلغ فى كل سنة من الخمسين
الى الستين الف بل الى مائة الف وعدد الجرائد اليومية والاسبوعية اكثر
من عشرة وفى كل سنة تنشر كتب فى الآداب الجديدة باسماء مختلفة لا تقل عن العشرين
الى الثلاثين وقد ترجمت تآليف كثيرة من اللسان الروسى والعربى والتركى
والفرنساوى . ونشأ من مكاتب الروس مئات من التلامذة . كما دخل آلاف
من شبان التتر اليها . ومع محافظتهم جميعاً على اخلاقهم الملية يسعون من جهة
اخرى فى تنبيه وايقاظ الفكر الملى وقد نشأت الوف تتقن اللسان الروسى بل ربما
تشارك الروس فى آدابه وتستفيد من جرائده على ان فى النسوة المسلمات طائفة
من المتفكرات وتألفت منهن جمعيات مخصوصات بالمخدرات الاسلامية ولهن رسائل
ومجلات ولدى مسلمى روسيا مطابع كثيرة ومؤسسات خيرية وكتبخانات ومصانع
ومتاجر واكبر التجارات اخذت تنتقل من سنة لاخرى الى ايدى الاسلام .
واغلب الذين يقرأون ويكتبون بالتتر يحسنون القراءة والكتابة بالروسى .
ونجد آلافاً من الذين لم يدخلوا المكاتب يتقنون اللغة الروسية قراءة وكتابة
وجميع ما ذكر هو ثمرة الخمس والعشرين سنة الاخيرة .

نعم عندنا ترقيات كثيرة جداً حرية بالشكر والمفخرة فى الواقع نذكرها
كلما سنحت الفرصة كما انى سنتحف بعون الله تعالى قراءنا الكرام بمآثر الانتباه
الكثيرة المتعلقة باحوال الاسلام فى سائر الممالك والله ولى التوفيق .

عبد الرشيد ابراهيم

—(الازمة العثمانية والهنود)—

ان الازمة العثمانية الحضرة هاجت العالم الاسلامى ونبهت شعوره
من ذلك ان مسلمى الهند غلا دمهم غيظا من هذه الحرب الطاحنة التى اضرمت
على الدولة العثمانية ظلما وبغيا فترى جرائدهم ملأى باخبار الاجتماعات التى تعقد
فى جميع انحاء بلاد الهند والتى تجمع فيها الاموال الطائلة مساعدة للحرب
وللهلال الاحمر .

ومما يجدر بالذكر هنا انه ليس الرجال وحدهم هم الذين دبت فى قلوبهم الغيرة
بل للنساء كذلك اثر محمود فانهن اخذن يعقدن المجتمعات ويجمعن فيما بينهن اموالا
لا يستهان بها لنفس الغرض السالف .

ولنذكر على سبيل التمثيل اسمى الاميرتين الجليلتين صاحبتى السمو ملكة
(بوهبال) وملكة (بارودا) فأما الاولى وهى حاكمة مسلمة فقد امرت بعمل
اجتماعات فى ولايتها لجمع الاعانات وقد تبرعت هى بمبلغ كبير من الجنيهات . واما
الثانية وهى زوجة افضل حاكم هندى فقد تبرعت لمساعدة الهلال الاحمر .

ولم تقتصر التبرعات على هؤلاء فقط فان للنساء الفقيرات والاطفال ايديا بيضاء
فى هذا العمل الشريف اذ ان الطفل الصغير يجود بدرهم يومه عن طيب خاطر
تبرعا منه للدولة العلية وقد كتبت جريدة (زمندار) انه فى احد اجتماعات السيدات
المسلمات قامت احداهن وقد اخذ منها التحمس الدينى مأخذاً كبيرا فباعت جميع
مجوهراتها وحليها وتبرعت بثمنها للهلال الاحمر

مما يذكر لهذه الحرب البلقانية انها اثرت تأثيراً حسناً لم يعهد له نظير قبل في البلاد الهندية وذلك ان مسلمي الهند كانوا يثقون باوربا ثقة عمياء ومن هذا نتج الخلاف بينهم وبين مواطنيهم الهندوس المجوس الذين لا يألون جهدا في سبيل استقلال بلادهم وخلاصها من الحكم الاجنبي ولكن هذا العام عام ١٩١٢ ازال ما على ابصارهم من غشاوة فرأوا كيف كانت دسائس اوربا وكيف تدبر وكذلك فظاعة روسيا في فارس وايطاليا في طرابلس وفرنسا في مراكش اقنعت مسلمي الهند ان المسيحيين هم اعداء الاسلام الألداء العاملون على هدمه فانتزعت تلك الثقة الكاذبة تماما من قلوبهم وقد رأوا انه من مصلحة بلادهم ان يمدوا يد الصفاء الى اخوانهم الهندوس ويتحدوا معهم قلبا وقالبا وقد كان ذلك بالفعل

قالت جريدة (زمندار) ان الهندوس افادوا في هذا المقام فانهم عقدوا المجتمعات وجمعوا الاعانات للدولة العثمانية باشتراكهم مع اخوانهم المسلمين تارة وعلى حدتهم تارة اخرى . وقد جاء في نفس الجريدة المذكورة ان المستر (سرندرنائي بنرجي) وهو من زعماء الوطنيين قام في اكبر اجتماع في كلكتا وقال (أتمنى من صميم فؤادي ان يدوم استقلال تركيا وفوزها باعتبارها دولة شرقية) وقال كذلك المستر (بيين جاندارا پال) وهو احد مشاهير الوطنيين (تتوقف حياة مبدأ الوحدة على حياة تركيا فبموتها يموت هذا المبدا وبحياتها يحيا) ويكفي ان نقول باختصار ان هذه الحرب البلقانية مع بعض حوادث اخرى ذكرناها سابقا كانت سبباً في اتحاد العنصرين الهنديين ولم شعثهما .

—(شعور الهنود ازاء الاحوال الحاضرة)—

جاءت الجرائد الهندية كزميندار وبليد ووطن مملوءة بأخبار الهند وشعور المسلمين ازاء دولة الخلافة .

ان مسلمي الهند قد أخذ منهم التأثر بما اتت به الكوارث والحوادث على دولة الخلافة ولذلك اسست الجمعيات الكبرى في دهلي — وكلكتا — وبمباي — وامرتسار — ولاهور — وكراجي — ومدراس — ورانكون — مع فروع اخرى بكل نواحي الهند حتى في الولاية والمديريات والقرى وكلهم يبذلون الاعانات بطيب خاطر وحماس شديد حتى المسكين الذي ليس عنده الا قوت يومه يدفع ما عنده وهو مسرور والجميع يسعون لتقديم اموال كثيرة لتكون قرضا للحكومة العثمانية ترده لهم متى حسنت حالها وخرجت من هذه الازمة الحاضرة ظافرة ومن السار ان الوثنيين يشتركون في المظاهرات والاعانات مع اخوانهم المسلمين كتفا بكتف حتى ان مستر وامودرداس الوثني والمثري الشهير في بمباي الف بعثة كبرى للهلال الاحمر بواسطة انجمن اسلام من ماله الخاص لارسالها الى الاستانة فسر المسلمون بحميته الوطنية وهم يعتبرون هذه الغيرة والشهامة اساسا متينا للائتلاف والاتحاد بين المسلمين والوثنيين ولما انعقد المؤتمر المسمى بكانكرس الذي لم يحضره الا الوثنيون قام مستر لال موهن كوش الوثني الشهير وخاطب الجميع وقال ايها السادة ان اخواننا الاتراك قد اصابهم ما اصابهم بسبب الحروب الحاضرة ما يوجب علينا ان نواسيهم ونعينهم بكل سرعة الاعانات الكافية الى الاستانة كي نسجل هذه الغيرة الوطنية في التاريخ لكي تكون ذكرا للاولاد والاحفاد الآتين .

ضحايا المدنية المسيحية

—(في القرن العشرين)—

من المعلوم ان زعيم الحركة البلقانية ونعني به فرديناند ملك بلغاريا قد قرر في منشوره الذي انبأ به جيشه بنشوب الحرب انه يعلن الحرب باسم المسيحية لاعتاق ابناء ملته : بلغاريي مقدونيا من نير الحكومة العثمانية الاسلامية وكذلك حذا حذوه ملك الصرب وملك اليونان وكان سياسيو الحكومات البلقانية الأربع يعلنون على رؤوس الاشهاد ما بين كل آونة واخرى انهم يريدون انقاذ مسيحيي الروملي من تحكم العثمانيين المسلمين فالحرب البلقانية اذاً حرب صليبية ضرمت سعيرها اربع حكومات تزعم انها بعد انفصالها من جثمان الملك العثماني استمدت انوار الحضارة من الغرب واغتذت لبان المدنية من ثدي اوربا وعضدتهن جهرة او خفية ثلاث دول كبار يزعمن انهن آخذات بنواصي العلوم ومحررات النوع الانساني وناشرات لواء السلام الذي ظل نحو ثلاثين عاماً يخفق فوق صرح اوربا ولقد كان علماء اوربا وساستها يتهموننا نحن معاشر المسلمين بالغلظة والوحشية ويرمون

دينا بالقسوة ويسمونه دين السيف كما كانوا يسمون هذا القرن بقرن الانسانية قرن الاختراع والابتداع قرن الوفاق والسلام . فما بال الحكومات البلقانية بعدان امكنتها غفلتنا تحى على رقاب المستأمنين مناو تسوم الضعفاء والشيوخ والاطفال انواع العذاب والنكال وتنال من اعراض مصوناتنا ما بين اوانس وزوجات وامهات ما عفت عن امثاله جيوب اسودنا يوم شنت مراد بجيشه الجرار رجال البلقان فى سهول قوصوه ويوم دخل غزاتنا الفاتحون سلانيك تحت امرة البطل المغوار يلدرم بايزيد ؟ بل مابال اوربا تسمع بانباء هذه الفظائع التى تقشعر من هولها الابدان ولا تبدى حراكا كان الذين يسامون الهول والعذاب ليسوا من بنى الانسان ؟ اليست اروبا اليوم هى التى طالما شنت علينا الغارة كلما اقتص بعض عامتنا من غوغاء الارمن او الاروام او الصربيين او البلغاريين لاعتداء هؤلاء عليهم بقصد تحريك السواكن وحمل الدول الاوربية على التداخل فى شئون الدولة العثمانية وتخليص العناصر المسيحية المندمجة فيها من تحت حكمها ؟ وهل بلغ من امر التعصب الدينى ان تفرق دول اوربا المتحضرة بسبب الدين ما بين انسان وانسان؟ على اننا لا نريد الآن ان نعاتب اوربا او نستنصفها ولكننا نريد ان نطلع الملأ الاسلامى فى مشارق الارض ومغاربها على ما يقع فى القرن العشرين وفى القارة الاوربية وباسم الديانة المسيحية . واننا نجتزئ بما نورده الآن عن الشروح الضافية التى وردت فى الصحف العثمانية وفى الصحف الاوربية لان ما كتب فى هذا الصدد شئ كثير يحتاج الى بحث طويل.

كتب احد العثمانيين كتاباً وجيزاً الى جريدة الجون تورك بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٩١٢ يقول فيه :

« لقد تسلمت خطاباً من احد اقربائى القاطنين بسلانيك وانا انشره فى جريدتكم قياما بواجب الوطنية العثمانية . قال لى قريبى :

انتم تعلمون ان اليونانيين والبلغاريين والصربيين دخلوا مدينتنا وانه من المزعج والمفزع ان يدخل هؤلاء الغلاظ المتوحشون مدينتنا سلانيك الشقية الصغيرة. فلقد شرعوا من اول وهلة يسرقون وينهبون ويقتلون وكان اليونانيون اكثرهم اقداماً على الاجرام .

ولطا لما دخلوا البيوت بحجة تجريدها من الاسلحة وهم انما يقصدون سرقة النقود والحلى . ومن هذا القبيل ما قصه قريبى مما وقع لصهره الذى كان متوليا ادارة احد البيوت التجارية بسلانيك . قال : « لقد دخلوا محل صهرى

وجالوا بانحائه مفتشين بحجة البحث عن السلاح كدأبهم فى كل عمل من هذا القبيل. فاستولى الهلع على نفس صهرى المسكين .وكان قد ارتأى من الضرورى ان يخبأ تحت الارض دراهمه وحلى زوجته ومن حسن طالعه ان هؤلاء المتقين لم يذهبوا الى بيته فأمن بذلك صهرى من طائلة اغتيالهم وسلبهم . »

وانا ادع الى قرائكم امر الحكم على مدنية الحكومات البلقانية المتحدة وعلى الاخص مدنية اليونانيين التى بدءوا يدخلونها فى الجهات التى احتلوها . »

ولا شك فى ان هذا الخطاب الصغير انما كتب عقب دخول الجنود المتحالفة سلانيك اى قبل توغلها فى الفظاعة والاجرام .

ونشرت جريدة البستر لويد ان قد جاء اليها من اثينا عاصمة اليونان ان قد وصلت معلومات مقلقة من ارطه الى وزير الخارجية اليونانية تفيدان اليونانيين لا يزالون ينهبون ويحرقون القرى الكائنة فى اقليم زاجورى (الابير)

وكتبت جريدة الاستمبا الايطالية ان عدداً عظيماً من المتطوعين الايطاليين الغاريبالديين غادروا الابير لانهم لم يشاءوا ان يقاتلوا الالبانيين ولان اليونانيين اقترفوا كثيراً من الجرائم والفظائع .

وجاء فى جريدة الكولونيش زايتونج الالمانية ما يأتى :

لقد وصل المخلصون الى هذا البلد وجلبوا معهم الرعب الذى نشروه بين الاهالى الهادئين . وعلى الرغم من اعلان الحكم العرفى ومن وجود ملك وولى عهد واميرة ملكية وبعض الامراء الملكيين فقد اضطر السكان الى اغلاق مخازنهم على اثر ما اقترفه الجنود الاجنبية من الامور الفظيعة .

ومن ذلك مصادرة وجهاء المدينة فى رابعة النهار على قوارع الطرق وهم سائرون مطمئنون بحجة التحقق مما اذا كانوا يحملون اسلحة ام لا وتجريدهم من كل ما يملكون وتقتحم الجنود الفاتحة المخازن والبيوت فتسلب ما فيها وهذا ما ادى بالطبع الى وقوف دولاب الحركة التجارية .

واما الادارة العرفية فانها اسم على غير مسمى اذ فى استطاعة البلغاريين واليونانيين ان يطلقوا اسلحتهم كما يشاؤن ليلا ونهارا .

يقول المثل القديم ان الحرب تجعل الاخلاق وحشية . ومع ذلك فان الغالبين اذا كانوا حاصلين على كل الوسائل التى تمنع من اقتراف الآثام ولا يستعملون هذه

٥

الوسائل على الرغم من وجود اناس ذوى شان عظيم فى سلانيك فان هذا الجمود يعتبر حالة داعية الى الاسف العظيم . وكل الجرائم التى تتجاوز كل حدود النظام والطاعة العسكريين قد رآها عيانا الوف من الجنود بل من جملة من شاهدوها ضباط بلغاريون كانوا يرون الجنود اليونانية تهاجم الاتراك والارناؤود المساكين العزل من السلاح اثناء روحاتهم وغدواتهم فى الشوارع .

ولاهم للاهالى الآن سوى الشغف لشديد بالآونة التى يرحل فيها المحتشدون الطاغون عن المدينة بسلام . اما الجنود اليونانية فتخرق الشوارع فى المركبات وهى مطلقة بنادقها ومسدساتها بل كثيراً ما تطلق العيارات الناريه فى القهاوى والاسواق . وقد تبلغ الطلقات التى تدوى فى جهة واحدة ٥٠٠ فاكثر .

وجاء الى جريدة التيمس من سلانيك بتاريخ ٢ ديسمبر ما يأتى :

لقد رويت ارض مقدونيا بدماء الضحايا الابرياء . وذلك لان البلغاريين تركوا مقدونيا بعد فتحها للجنود غير النظامية اى لرجال العصابات الثورية التى بادراكها حرية العمل كما تشاء اجرت مذابح لا تدخل تحت نطاق الحصر وعلى الخصوص فى جهة اورات حصار وجهة داده اغاج اما المذابح التى حدثت فى قوله فقد اقترفها الأرمن الذين التحقوا بالجيش البلغارى كمتطوعين .

وجاء الى التيمس ايضاً من شتينيه عاصمة الجبل الاسود بتاريخ ٢ ديسمبر :

تفيد المعلومات المستمدة من المصادر الحرية بالثقة والاعتماد ان الجنود الصربية التى كانت متقدمة الى الادرياتيك قد اقترفت فظائع هائلة ضد الالبانيين

وبلغ من همجية اليونانيين الذين احتلوا سلانيك انهم قبضوا على رئيس مستشفى الهلال الاحمر العثمانى الدكتور ناظم وحملوه قسراً الى اثينا وارادوا ان يديروا هذا المستشفى بواسطة اطبائهم ليزهقوا نفوس المرضى والجرحى من المسلمين ولكن طبيبا فرنسياً اسمه دريفوس كان موجوداً فيه ابى على قول جريدة الطان ان يسمح للاطباء اليونانيين باحتلال مستشفى الهلال الاحمر واحتج لدى قنصلى فرنسا وانجلترا ورفع الراية الفرنسية فوق المستشفى فحماه بذلك من سرقة وعبث وفظاعة اليونانيين

ونشرت جريدة تصوير افكار بتاريخ ٩ ديسمبر كتاباً ورد اليها من احدى السيدات المسلمات المقيمات بسلانيك وقد جاء فى هذه الكتاب مايأتى :

« لم تبق واحدة من قريباتى ولا من صواحبي ولا من جاراتى القريبة منى

او البعيدة لم يصبها سوء الطالع بفقدها كل ماتمتلكه وتجردها من أثمن واشرف شئ وهو عرضها الطاهر بواسطة الجنود اليونانية . . . والنساء المسلمات يمتن من الجوع ولكنهن لايجرأن على الظهور فى الطريق بقصد شراء الخبز .

ولقد كن فى احدى المرات وهن عابرات الطريق عرضة لاعتداء الفاتحين باحط وافظع مايمكن تصوره . وارتأت ابنة جارتى و زوجة ابنها ان تفتديا عرضيهما بكل حليهما التى وهبتاها للجنود اليونانية راجيتين منهما اخلاء سبيلهما وعدم ايذاء طهرهما . بيدان هؤلاء الاجناد تقبلن الحلى بدون ان يمتنعن عن الترامى على البائستين واظهار افظع خصائصهم البهيمية لهما . »

وكتبت احدى صحف سلانيك فى اواخر نوفمبر مايأتى :

« يوجد امام ثكنات زيتنلك نحو الف من الجنود العثمانيين المجردين من الاسلحة مقيمين تحت الخيام شر مقام . فتراهم بين ركام من الاوساخ ينام بعضهم لصق بعض بدرجة لامكانة بعدها للاضرار بالصحة العامة . وعدا ذلك اصبحت المدينة مهددة بالاقذار وجيف الخيول الملقاة حول المدينة بحالة تعفن و تحلل . ولقد كانت هذه الجيف مرعى للكلاب والطيور الضارية فلما دخلت فى دور التحلل عافتها الحيوانات المفترسة فكيف تأثير هذه المضار بالجنود المساكين وبالاهالى القاطنين اهالى المدينة . »

و فى العشرة الاولى من شهر ديسمبر عمدت احدى العصابات البلقانية الى مدينة كليسوره (بقضاء كاستوريا) فاضرمت فيها النيران حتى اتت على آخر بيت منها فهلك عدد عظيم من سكانها المسلمين فى ثنايا اللهب .

و جاء فى جريدة الجون تورك الصادره بتاريخ ١٢ ديسمبر سنه ١٩١٢ مايأتى :

« تلقينا من اوثق المصادر التى لا نزاع فى معلوماتها الاكيدة ان اليونانيين والبلغاريين لايزالون مستمرين على الفظائع التى يقترفونها فى سلانيك بدون شفقة ولارحمة ضد المسلمين .

ففى يوم السبت ٩ نوفمبر دخلت عصابة بلغارية مؤلفة من ٤٠ رجلا ن غارقين فى اسلحة قهاوى جهة قلة وانتزعوا من المسلمين ساعاتهم ونقودهم بالقوة اذ كانت الساعة اذذاك الاولى ليلاً بالحساب الشرقى . ومن الغريب ان رجال مركز البوليس الموجود امام هذه القهاوى لم يحركوا ساكنا .

و دخل رجال العصابة فى الساعة الثالثة من الليلة نفسها بيت بهلول بك بواسطة سلم وسلبوا حليه وكل مافيه من الاشياء النفيسة .

وفى هذه الليلة دخلوا ايضا خان صالح آغا وانقضوا على المهاجرين فسلبوهم سائر ماكانوا يمتلكونه . وبعدان جردوهم من سائر ممتلكاتهم اخذوا قسراً ثلاثاً من نسوة المهاجرين فتيات وحملوهن الى المقبرة الكائنة على مقربة من الخان ولبثوا يتمتعون بهن تمتعا بهيمياً طول الليل حتى شروق الشمس .

وفى يوم الاثنين طفق الموظفون اليونانيون يبحثون فى كل مكان عن الضباط العثمانيين وكل من وجدوه منهم يرسلونه فوراً الى اماكن غير معلومة .

ولقد تجاوزت المظالم التى اصابت المسلمين كل مايمكن تصوره من اعمال قطاع الطرق القتلة المجرمين و قناصل الدول الاجنبية يقدمون يوميا الى دولهم انباء هذه الاهوال المزعجة . »

على ان كل ماتقدم ذكره لايكاد يذكر فى جانب الفظائع التى اقدم على ارتكابها اولئك المتغلبون فى مقدونيا والبانيا فقد اثبتت الانباء الرسمية انهم استأصلوا بالحريق والهدم قرى عديدة وبعض تلك القرى لم ينج من سكانها فرد واحد وهذه فظائع لم يسمع العالم بمثلها الا على عهد نيرون فى روما وعند محو قرطاجنه . واليك احصاء من هذا القبيل نشرته جريدة الجون تورك فى عددها الصادر بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩١٢

« لقد ابلغت الينا قائمة تتضمن القرى التى احرقها ودمرها اليونانيون المتوحشون بعد ان سلبوا مافيها من اثاث ومتاع وجميعها فى قضاء اورات حصار :

قرية ارمونجيك — امكن انقاذ ستة بيوت من الحريق والنهب من الستين بيتا التى كانت القرية مؤلفة منها .

قرية ابكيسوزلو — بقيت اربع دور من تسعين بيتا .

قرية بوتيريخ — بقيت خمسة منازل من اربعين منزلا .

قرية اربكله — لم ينج من سكان هذه القرية التى كانت تحتوى ٢٠ منزلاً سوى شخصين .

قرية ريان — لم ينج احد و لم يسلم شئ من هذه القرية التابعة لناحية قره طاغ والتى كانت مؤلفة من ستين بيتا . بل ذهبت القرية ومن فيها طعمة للحريق والهدم والقتل والسلب .

قرية كبركوت — كانت هذه القرية مؤلفة من ٢٠٠ بيت فلم يبق منها الحريق اثراً وانما اختطف الفلاحون المسيحيون كافة الفتيات والنساء الشابات وذهبوا بهن الى حيث شاءوا .

ستيفا — كانت هذه القرية مركبة من ستين بيتا فلم يبق لها اثر فى الوجود . »

على ان اليونانيين ارادوا ان يتلاهوا بدماء الابرياء فى ثغر عظيم كسلانيك فذهبت ثلة من اجنادهم الى فندق وقهوة اسكوب اللذين يديرهما عبدالرحمن افندى و طلبوا اطفاء مصابيحهما و فى الوقت نفسه اخذوا يطلقون النيران بغير حساب من قبيل المداعبة على القهوة والفندق فقتلوا ٢٠ شخصا وجرحوا ٣٠ ثم حمل الجنود جثث القتلى والجرحى ونقلوها الى حيث لايعلم احد .

ومن افظع مايسطره التاريخ لبربرة المدنية المسيحية الحديثة ان البلغاريين عمدوا الى لحى الشيوخ الفانين من اهالى صالى تكية فنتفوا شعورها ثم نهبوا القرية ولم يدعوا فيها شيئا . فالكهول العجزة الذين افناهم الدهر اصبحوا كالاجنة فى البطون اوكالاطفال الرضع يجب الاشفاق عليهم والتلطف فى معاملتهم يقابلون من هؤلاء اللصوص بمثل هذه المعاملة الوحشية التى لم يرو التاريخ لها مثالاً لالكونهم اجترحوا اثماً اوشقوا عصا الطاعة بل لمجرد كونهم مسلمين .

وكتبت جريدة الديلى ميل فى العشرة الثانية من شهر ديسمبر سنة ١٩١٢

« لقد اندفع البلغاريون يسلبون و يذبحون الاهالى المسلمين القاطنين بجهة جيوجيلى على بعد ٨٠ كيلو متر من الشمال الشرقى لسلانيك فلما رأى هؤلاء الاهالى ما حاق بهم من الذل والهلاك اوفدوا فريقاً منهم الى سلانيك يتطلب الحماية والانقاذ . »

ومع ان السياسة تقضى على الفاتحين ان يراعوا مقتضيات الأحوال فيعاملوا كل جهة بما يوافقها من ارهاب اومصانعة حتى تثبت اقدامهم ويستتب لهم الحكم فان اليونانيين قدخالفوا كل اصول السياسة والاستعمار و لم يفرقوا فى المعاملة الوحشية مابين اهالى سالونيك التى كان جيشها قدحارب فى مبدأ الأمر قبل تسليمها وبين اهالى جزيرة لمنوس الذين لم يحاربوا لعدم استطاعة القوة التى لديهم ان تقارع الاسطول اليونانى فقد روت جريدة الجون تورك بعددها الصادر بتاريخ ٢٠ ديسمبر ان مسلمى جزيرة لمنوس اصبحوا فى حالة سوأى

عقب احتلال الجند اليونانى جزيرتهم اذ استطالت فيهم ايدى السلب والفتك فاول ماصنعه اليونانيون قبضهم على تسعة من اكابر سراة المسلمين بحجة انهم يدبرون مؤامرة اسلامية ضد المسيحيين وبدلاً من محاكمتهم اخفوا آثارهم عن الابصار فاذا ماسأل ذوشان عن هؤلاء الوجهاء قيل له انهم ارسلوا الى بيره لمحاكمتهم والحقيقة انهم قتلوا افظع قتل بجهة مودرسكى بجزيرة ليمنوس نفسها .

و اذ رأى مسلمو هذه الجزيرة انهم فى حالة لاتطاق ارسلوا تقريرا بحالتهم الى والى ازمير وقد قالوا فى هذا التقرير انهم لايستطيعون مغادرة الجزيرة لانهم اصبحوا مسجونين فيها وان جميع الموظفين العثمانيين قدالقى القبض عليهم وارسلوا ايضاً الى جهات مجهولة وان ٨٠٠ من الاهالى المسلمين ذهبوا شهداء الاهوال والفظائع الوحشية من سائر انواع التعذيب والتنكيل .

وكل ماذكرناه لايذكر فى جانب ماسنورده فى العدد الآتى من الفظائع التى ارتكبتها الجنود المتحدة فى الروم ايلى وفى جزر الارخبيل مما تقشعر لهوله الابدان ويمكن اظهار فداحة هذه الاهوال من شئ واحد و هو ان عدد الذين قتلوا فى الروم ايلى ١٠٠٠٠٠٠ مسلم .

— حقوق الامة الاسلامية —

{ من حول الدولة العلية }

لماشعر المسلمون فى اقطار الارض بتألب الامم المسيحية على الدولة العلية وهى دوله الخلافة الوحيدة حامية الحرمين الشريفين و اجمعت على احتلال املاكها كانما هى نهب مقسوم واسلاب قتيل تحرك فيهم دم الحمية والغيرة على حامية هذا الدين الاسلامى فالتفوا حولها ولبوا نداءها فهم يتسابقون فى مضمار الاعانات والاكتتابات وبذل الانفس والثمرات متسارعين الى انتشالها من هوة الخطر بمعاضدة واخاء و مساعدة ووفاء ومع كونهم فى سعيهم المشكور وعملهم المبرور يقضون واجب دينهم بل انهم يعملون فى الحقيقة لانفسهم فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا لايمكن ان يقف هنا القلم عن التنويه بحميتهم و غيرتهم استزادة لاعانتهم واستنهاضاً لهممهم. ومما يدل على ذلك توافد بعثات الهلال الاحمر من مصر فقد وصلت منها ثلاث بعثات كما وصلت ايضا فى المدة الاخيرة ثلاث بعثات من الهند من بين اعضائها الكرام اثنان من المجوس بعد مجافاتهم الطويلة لاخوانهم مسلمى الهند اذرأوا ما احدق بالشرق من المدلهمات ومافاجاءه من الاخطار ايذانا بجمع كلمتهم واصلاح ذات بينهم. كذلك تفعل الشعوب الاسلامية فى مظاهرة الدولة العثمانية وقت الشدائد ومامثلهم فى ذلك الامثل رجل غنى جداً ظل يضيق على نفسه ويحرمها الزاد الكافى والكساء الوافى والسكنى الطيبة حتى تمكن الضعف والمرض من جسمه ولاحت لبصره نذر سكرات الموت فهو هنالك يبسط يديه بالعطاء عارضاً سائر مافى خزائنه على من يمرضه ويداويه جائداً بنفائس ذخائره لمن يعده الابراء من تلك الادواء . ولو انه فكر فى هذه العاقبة وامتع نفسه من قبل بالطعام الجيد والسكنى الطيبة واللباس الوافى منفقا فى سبيل ذلك بعض ماشحت به نفسه ايام العافية والصحة لسلم بلاشك من هذه الامراض الفتاكة ولبقى ماله من المال والذخائر مصونا موفورا . وكذلك لوان المسلمين اتبعوا الحزم فى اوقات الرخاء فجمعوا للدولة بضعه ملايين من الليرات لتشترى بها سفن حربية اماقرضا اوهبة لماطمعت فيها الاعداء ولما تألبت عليها امم الصليب تنتقص اطرافها و تزعزع اركانها

وتنذر العالم الاسلامى جميعه سوء العاقبة بما ترسله على هذه الدولة من الرزايا
والبلايا فلو ان للدولة اسطولاً عظيماً مافكرت ايطاليا فى امتلاك طرابلس ولاقامت
رعاع اليونان تطمح فى استلحاق بعض املاكنا وجزورنا بفضل ماضاع منا ولكن
كيف نأمن عليه اذا نحن لم نتخذ اسباب الوقاية ووسائل الدفاع منذ اليوم فهل
يعسر على اخواننا المسلمين فى اقطار الارض كافةوهم على مانعلم من الهمة والحمية والغيرة
الاسلامية لاسيا بعد ان ابصروا باعينهم ماالم بهم ولايزال يلم بدولة خلافتهم
الاسلامية وحامية دينهم الحنيف ان يجمعوا امرهم ويلموا شعثهم ويقتصدوا من
نفقاتهم اليومية ولو قليلا فالقليل مع القليل كثير هل يشق على كل ولاية مثلا
ان تجمع مقداراً و تبنى به دارعة حربية باسمها مناسبة لشرفها ومجدها الماضى
والحاضر وتهديهـا لدولتها دليلاً قائما على غيرتهـا و وطنيتها لايمحوه كر الغداة
ومر العشى اما مسلمو الهند والصين وغيرهم من كبار المتمولين ورجال الملايين
فانا نعلم علم اليقين ان من بينهم رجالا لايحصون عدداً يضارعون فى الثروة بل يفوقون
كثيراً ذلك اليونانى (آوهروف) الذى يذكر اسمه كما ذكرت مدرعته التى
اهداها لدولته . ماذا ينتظر المسلمون بعد ان ابصروا الموت بابصارهم و بعد ان
انمحت عن سطح الارض ممالكهم حتى لم يبق سوى هذه الدولة الفردة ؟ ايرتقبون
ان يصيب هذه الدولة لاقدر الله ما اصاب غيرها فينهضوا اذذاك للعمل والسعى
فى تأسيس حكومة جديدة الا فليفيقوا فان دول الصليب ترقبهم ابدالدهر واذا كانت
هذه الدول لاتفتأ تنقض اركان الاسلام وتمحو معالم دوله فكيف يمكن المسلمين
اذا نالت بغيتها من انشار ميت مجدهم وبعث فانى دولهم . فليفكر المسلمون منذ
اليوم فى مصيرهم اذا لم يقدموا من اموالهم مايدرأ الاذى عن حياتهم السياسية
وجامعتهم الملية وان الله مع العاملين .

مضار الخمور

— ١ —

باسطع الادلة على صدق الدين السماوى و انصح البراهين على امانة الرسول

مطابقة احكامه للعقل السليم و اتيانه بالحقائق العلمية والقواعد الفنية قبل ان
تكتشف بمئات السنين فالدين والحالة هذه بمثابة استاذ للانسانية يقيها المضار
الناجمة عن اشياء ما كانت لتفقه حقيقتها الا بعد اجيال و تجارب تودى بعشرات
الملايين من النفوس ولقد كان الدين الاسلامى الحنيف اول الاديان واشدها تحريما
للخمر داء الانسانية العضال فلقى من عذل الاغرار و مخالفة الجهلاء ومغالطة
المكابرين ماحجب حكمة تحريمها عن العقول ازمانا طويلة بيد ان الله يابى الا ان يتم
نوره وان ينصر دينه الحق على الدين كله فجاء العلم الحديث المدعم على المشاهدات
الواقعة والتجارب العلمية والحقائق الدامغة فبين لنا حكمة تحريم الخمور وشرح
مضارها الفادحة بما لم يبق بعده غاية لسائل .

الخمور هى سوائل بها مقادير مختلفة من الكحول الناجم عن تخمر المواد
السكرية وليس المقصود بالمواد السكرية هنا معناها العرفى بل الكيماوى فالجريد
والخشب وقشور البطيخ والشمام وغيرها تعتبر من المواد السكرية و اغلب الخمور
تصنع منها اليوم بدل ان كانت قديمـا تصنع من العنب والبلح و ماء النخيل الصغير
وما اختلاف اسماء المشروبات الا بسبب اختلاف مقادير الكحول فى كل منهـا
والمواد الملونة والمعطرة المضافة اليها فجميعها تحتوى على السم الزعاف (الكحول)
عدو الانسانية الفظيع وعليه فلاذكر مضار العامل الاصلى فيهـا بكل ايجاز
حتى يدرك الملأ فضل القرآن عليهم ويعملوا باوامره حتى ينالوا السعادتين
الدنيوية والاخروية .

اذا استعمل الكحول من الخارج فهو مطهر (قاتل للجراثيم المرضية المختلفة)
وبما انه سريع التبخر فهو يتطاير حاملا معه الحرارة المحلية من الجزء المماس له
من الجسم فيولد فيه برودة تختلف درجتها بقدر الكحول الموجود فاذا كان كثيراً
ولد خدرا موضعيا خفيفا و لهذا فى الحميات يمكن استعماله لترطيب الجسم به
وتهبيط الحرارة ولكن دعك الكحول فى الجلد يولد حرارة موضعية بسبب
اختراق ابخرته للمسام الجلدية و تهيجهـا الخلايا لدرجة قدتكون كاوية ولهذا
يستعمل الكحول كاساس للمروخات المعرقة الملطفة فالكحول من اسلم و احسن
المطهرات المنزلية ولكنه قلما استعمل فى هذا الغرض مع انه يكاد يضارع البوريك
والسليمانى فى هذا البـاب و من خير المبردات الموضعية ومن الملطفات والمنفطات
الخارجية لانه ينفذ من مسام الجلد السليم .

رائحة الخمر قبيحة ينفر منها صاحب الطبع السليم و طعم الكحول حريف لاسع وله حرقة فى الفم تشتد بقدر مكثه هنالك حتى انه ليخرب الغشاء المخاطى بسبب تجفيفه للمواد الزلالية اولا وامتصاصه للماء المتشبع به ثانيا ولا ادرى كيف يبلغ فساد الذوق ببعض الناس لدرجة التلذذ من هذا الطعم القبيح نعم انا قد لامانع من تهيجت عليه اسنانه المتخربة اولثته الممتلئه دما اذا لم يجد لديه الدواء الشافى او عدم الطبيب ان يستعمل الكحول مضمضة بضع دقائق فانه قد يوقف التعفنات الموجودة داخل السن المتخرب فيسكن آلامه نوعا ماولكنى افضل استعمال المكمدات الحارة وزيت القرنفل او مسحوق البوريك او ماشابه ذلك . بمجرد وصول الكحول الى المعدة تحصل فيها نفس تأثيراته على الغشاء المخاطى للفم لسع وحرافة تؤدى الى حرارة موقتة بسبب توسع الاوعية الدموية الناجم عن تهيج موضعى بسبب هذا الضيف الثقيل ومحاولة الجسم التخلص من ظله واذاه وهنا تنشب حرب بين الغشاء المخاطى والكحول فالاول و هو اساس الغدد المفرزة للعصير الهضمى يريد المحافظة على كيان نفسه الضرورى لحياة جسم هذا الجانى المحتسى اقداح او جيوش العدو الفتاك والثانى يمتص المياه ويجفف المواد الزلالية ويخرب الغشاء المخاطى بقدر مايكرعه هذا المعتوه من الكحول الذى إن كثر فقد يجرد المعدة تماما من غشائها المخاطى وغدد العصير الهضمى ويبلوها بنزلة معدية حادة قد تصبح مزمنة بسبب استمرار صاحبها على شرب الخمور وناهيك بما تجره هذه الحال على صاحبها من الآلام و تعرضه للادواء فالمعدة بيت الداء وعلى تأثير حامض عصيرها المطهر يتوقف نجاة الجسم من فتكات كثير من الجراثيم وعلى تأثير قوتها الهاضمة تتوقف عملية تغذية الجسم ودوام عافيته وعند مايشعر السكير بالحرارة فى معدته يخيلها رغبة منها فى المزيد او انبساطا فى الشهية فيزيدها نارا على نارها حتى تخونه قواه العقلية بسبب ماوصل الى مخه من الكحول الممتص من المعدة فكيف عن غيه .

يمر ماتبقى فى المعدة من الكحول بعد امتصاص اغلبه بواسطة الدم الى الامعاء فيمتص اغلبه بعد ان يؤثر على غشائها المخاطى مثل ماأثر بالمعدة ويستمر مابقى فى سيره حتى يصل الى الامعاء الغليظة بعد ان يطرأ عليه بعض التحولات بسبب عملية الهضم وهنالك يلاقى مستعمرات الجراثيم المختلفة الضرورية لسلامة الجسم وحراسته من سموم فضلات

الطعام المختلفة فيقتل بعضها و يتغلب عليه مابقى فيحوله الى ماء وحامض الكربونيك الا اذا كانت مقادير الكحول كثيرة جدا فقد تخرج آثارها مع المواد البرازية وهو امر نادر للغاية بيد ان هذا الحامض المتولد عنه يسبب فى الدبر عند التبرز حرقة مؤلمة كاوية يشعر بها السكير ثانى يوم افراطه فى احتساء هذا السم الزعاف الذى يزوقه لنا ابالسة السوء وشياطين الاخلاق (الشعراء بخمرياتهم) فآثار الكحول على الجهاز الهضمى من الفم حتى الدبر لسع وكي وحرقة وتخريب تسبب نزلات معدية ومعوية حادة ومزمنة وتعرض الجسم لفتكات الجراثيم وسموم الفضلات المختلفة الناجمة عن عملية الهضم المعتادة .

تجربة السكير علمته شدة حرقة الكحول ولسعه فى الفم والمعدة والامعاء لدرجة كاوية فهو بدل ان يتعظ بذلك ويتجنب هذا السم الزعاف يحاول تخفيف الامه بمزج الخمور عند تناولها بمقادير كبيرة من الماء وهو عمل يقلل لسعها ولكنه لايحول دون امتصاصها من جهة بل انه يؤدى فوق ذلك فى المدمنين الى تمدد المعدة وما ينجم عنه من المتاعب المتعددة . يدعى بعض انصار الخمور ان شربها يطفئ الظمأ ويقلل شرب الماء بينما الواقع يكذبهم اذ السكير من شدة مايجوفه من الحرارة يشرب اضعاف اضعاف مايشربه من لايقرب الخمر بل وربما اضعاف المحموم اومن افرط فى الاكل ويدعى البعض من انصارها انها تفتح الشهية وتساعد على الهضم وهو قول عليه شبه مسحة من الصحة اذ الحرارة الموضعية قد تجعل اعصاب المعدة تحس بالجوع لانه منبهها العادى وتوسع الاوعية الدموية مما يساعد على الهضم بتقوية العضلات وزيادة افراز العصير الهضمى ولكن فات من يدلى بهذه البراهين ان مثل هذه الحرارة الضاره كمثل الضوء الذى تراه العين اذا ماضغطت بشدة غلطاً حسياً منشأه العادة وان زيادة الدم لايقاوم آثار امتصاص سم الكحول من جهة وتخريب الغشاء المخاطى بغدده المفرزة للعصير الهضمى فالكحول والحالة هذه يعيق الهضم لايساعده واكبر برهان على كذب دعوى انصاره القئ الشديد الذى يعقب السكر وماهو فى الحقيقة الاعملية تقوم بها المعدة للتخلص من تخريبات وكى هذا الضيف الثقيل الذى يأبى انصاره السكيرون الاادعاء محبته وفائدته للمعدة بينما هى تقذف فى وجوههم الكالحة هذا القئ معتبرة اياه خير جواب لبهتانهم المبين ومن رأيى ان لاتعود المعدة على القيام بوظيفتها بمساعدة خارجية لانها تصبح فى حاجة دائمة اليها اللهم الااذا طرا عليها

كسل او ارتباك فيداوى بالطرق الطبية المعقولة وخير للانسان ان يأخذ بعض العقاقير المرة قبل الطعام او قليل من بيكربونات الصودا او مقدار من ماء الكلوروفوروم لتوليد الحراره الخفيفة بالمعدة وفتح الشهية للطعام .

عرف القارئ تأثير الكحول على الجهاز الهضمى وتتبع القسم الذى اطرحه الجسم بواسطة المستقيم فلنشرح له تأثير القسم الذى امتصه الدم ونسير معه حتى مفارقته للجسم ليرى تخريباته ببقية اجزاء الاجهزة المختلفة. عمل الكحول فى الدم كعمله بالجهاز الهضمى اولا يهيج الاغشية المخاطية التى تبطن بها الاوعية والتى هى ضرورية لتمام الدورة حتى انه قد يجعل صمامية الاوعية الشعرية غير تامة فيسبب ركود المصل الدموى بالانساج ومن ثم نرى حمرة وجنات السكيرين فى بعض الاحيان ومن شدة تأثيره على الاوعية وتهيجه اياها لايسعها الا الاستغاثة بالاوعيه الجلدية فتنفخ وتوسع اقطارها حتى تستوعب اكثر الدم وتتمكن من طرد هذا البلاء الكاوى بواسطة العرق وتشع الحرارة بكثرة ابطالا للآلام الداخلية وبما ان تأثير الكحول على الغشاء المخاطى المبطن للقلب وعلى عضلاته هو عبارة عن التهيج ايضا فالقلب والحالة هذه يسرع ضرباته وتشتد دروته سعيا فى التخلص من هذا الضيف المخرب وهذا العمل مع اتساع الاوعية الجلدية مما يزيد تشع الحرارة الحيوانية فى القضاء ويسبب سقوط حرارة الجسم خصوصا وان الكحول يعيق الاحتراقات على ماسنفصله ولهذا فبعض الاطباء يستخدمون خاصية الكحول هذه فى تخفيف الحرارة فى الحميات العفنة .

يستمر القلب فى جهاده ضد هذا العدو حتى يتخلص من شره ان كانت مقاديره قليلة او يدركه الاعياء ان كانت مقادير جيوش هذا العدو كثيرة فيرجع الى حالته الاولى او اقل وكلما استرجع بعض قوته عاد الى جهاده الا اذا حدثت صدمة مخية اودت بجميع الجسم .

ليت تخريبات الكحول على الدم تقف عند هذا الحد بل هى تتعدى ذلك الى الجيوش النظامية (الكرات البيضاء) والى سواد الامة الاعظم (الكرات الحمراء) فهى اجسام حية وتأثير الكحول فى قتل الجراثيم والحيوانات الدنيئة قد فهم من كلامنا على استعماله كمطهر فهو ان لم يقتل هذه الكرات الضرورية للدفاع عن الجسم ورد هجمات اعدائه الجراثيم عنه وحمل الاغذية اليه ونقل الفضلات عنه فهو يعيق اعمالها ويضعف قواها نوعاما حتى ان علماء فن العلاج يقولون انه

يقوى التصاق (الاوكسجين) اكسير الحياة بالكرات الحمراء فيعطل الاحتراقات الحيوية وفوق هذا الضرر نرى الكحول يحول ضد امتصاص الخلايا للاغذية وهضمها ويمتص منها الماء ويبقى كذلك الى ان يتم تحوله الى حامض كربونيك وماء ويفرز بعضه بواسطة الاعضاء المختلفة ولهذا يدعى بعض انصاره انه يمكن استعماله كغذاء لدرجة معينة وانى اقول لهم ألا بئس هذا الغذاء الذى يوقف جميع الاحتراقات ويضعف جيوش الجسم ووظائفه الحيوية ويسبب تلف الكبد وتعطيل خلاياها عن اتمام واجباتها المهمة لسلامة الجسم وعافيته وليت الاغرار الذين يتشدقون بقولهم انا نشرب الخمور لاجل التدفئة وتوليد الحرارة يقرأون هذه الحقائق ليعلموا ان مايشعرون به ليس بحرارة الصحة بل حرارة الآلام التى تشعر بها الاعضاء وان اتساع الاوعية الجلدية وتشع الحرارة منها وتسخينها الجلد ليس نتيجة شدة الاحتراق وارتفاع حرارة الجسم بل هى نتيجة محاولة التخلص من سموم هذا العدو بالافرازات الجلدية ولو عقلوا هداهم الله لادركوا ان الكحول بمنعه الاحتراقات وتعطيله هضم الخلايا للاغذية وامتصاصها يسبب احتراق الاغذية المدخرة فى الجسم بصفة شحم اونشاء حيوانى ويضعف نفس الخلايا ولهذا نرى السكير لاقل مرض يهزل وتظهر عليه علائم الضعف الشديد وتطول مدة مرضه وتكون نسبة السلامة فى امراضه بنسبة خمسين فى المائة ممن لايقربون الخمر وما ذلك الا لان هضم الغذاء فى حالة المرض اقل بكثير من درجة الاحتراقات خصوصا المجهودات المبذولة داخل الجسم فى سبيل المحافظة عليه من تخريبات المرض فمايلزم لاتمام الاحتراق يستمده الجسم من مواده المدخورة وبما ان جسم السكير يكاد يكون خلوا منها بخلاف خلايا من لايكرع هذا السم الزعاف فهى قوية سليمة فلا عجب اذا كثرت وفيات الاول بنسبة خمسين فى المائه الى الثانى ولابدع اذا ضعف واشتد به الهزال سريعا وطالت مدة مرضه فهذا جزاء تفريطه فى مواهبه وعدم تحصينه جسمه واعداده الغذاء وتقوية الخلايا ابان صحوه لمقارعة مرضه . اشد آثار الكحول فى الجسم تظهر فى المجموع العصبى لشدة رقة ودقة تركيبه وصعوبة تجدد ذراته . يصل الكحول مع الدم كما قذف القلب بسائل الحياة لتغذية جميع الجسم فيؤثر على المجموع العصبى من اعلى الى اسفل اى من مراكز المخ العليا الى النخاع الشوكى تدريجا ويختلف التأثير من تنبيه خفيف الى تهيج او الى صدمة شديدة بقدر كمية الكحول

الموجودة وآثار هذا التنبة تجلى فى كل انسان حسب مزاجه فمن اعتاد الاعمال البدوية والحركات الجسمية تراه يقفز ويضحك ويركض ويزعق اى انه يمسى اقرب الاشياء الى الحيوان الهائج ومن اعتاد الاعمال العقلية والصناعات الكلامية تراه يخطب ويهذى ويأتى بالنكات المختلفة حتى اذا ما اشتد اثر الكحول بمخهما سقطا كالمصروعين وما احكم المثل التلمودى الذى طالما قرأناه فى كتب المتقدمين القائل ان ابليس هو الذى زرع شجرة العنب فلما نمت ذبح عند جذرها قردا ورواها بدمه وبعد حين رواها بدم كلب ثم بدم خنزير ولهذا نرى السكير فى خفة حركاته وهذيانه اشبه الاشياء بالقرد يصيح وكالكلب ينبح ويلهث ثم يخر كالخنزير فراشه القاذورات وتخرج من فيه امثالها وهو مايطابق تأثير الكحول على المجموع العصبى ، تنبه فتهيج فاعياء .

قلنا ان مقدار الكحول اذا عظم يسبب صدمة مخية تودى بالشخص لساعته وفى هذا بيان لتأثير وشدة تخرياته على الاعصاب وكل من درس علم الانساج ورأى كيف انها تجمد بحفظها فى الكحول وتفقد خواص ذراتها يعرف ان مقدار هذا السم مهما قل له اسوأ اثر على المجموعة العصبية وكفى القارئ ان يعلم ان حوالى السبعين فى المائة من سكان مستشفيات المجاذيب هم ضحايا الكحول بينما الباقون هم من ضحايا الزهرى وبقية المغيبات اوالامراض الاخرى. ان تأثير الكحول على المخ لايقتصر على هذه الاحوال الحادة بل هنالك مرض التسمم المزمن بالكحول حيث يصاب صاحبه بحرانات شديدة وهذيانات ورعشة الاطراف وضعف فى الشهية وقلة تدريجية فى القوى العقلية فشلل عام فموت زؤام وما احرى السكارى باطاعة قول الشاعر (طلق الخمرة ان كنت فتى كيف يسعى فى جنون من عقل) اذا اضفنا الى ماتقدم افاضة السكير بجميع اسراره وفضحه دخائله وارتكابه جميع القبائح التى قد يجترحها المجنون بسبب تأثير الكحول على مداركه نرى صدق قول ناظر الحقانية الانجليزية وكبير قضاة النقض والابرام عندهم المدعم على الاحصائيات الرسمية حيث صرح فى مؤتمر محاربة الخمر الذى عقد بلوندرة ١٩٠٩ بان تسعين فى المائة من جرائم الجزر البريطانية سببها الادمان على الخمور وخصوصا القوية منها وكفى القارى ان يعلم ان فى مقاطعة لوندره وحدها فى سنة ١٩١١ حدثت اكثر من ٥٥٠٠٠ جنحة بسبب السكر. كل هذا يبين للقارى بصورة مصغرة بعض آثار الكحول فى المجموعة العصبية

ولو اضفنا الى ماتقدم تأثيره فى عقل نسل السكير ادركنا فظاعة جريمته على نفسه وعلى عقله وخيرما اقدمه للقارى مثلا فى هذا الباب حوادث احد احصائيات الاستاذ موت ذكرانه كان طبيب عائلة فالام لاتقرب الخمر وليس فى عائلتها من يشربها والاب لم يكن بعائلته من يكرع هذا السم قط ولكنه هو اعتاد تناوله منذ عنفوان شبابه فتجنن فى اخريات ايامه ومات بالشلل العام نتيجة التسمم المزمن بالكحول بعد ان خلف ثمانية اولاد الخمسة الاول منهم اصيب كل واحد منهم بدخل فى عقله وزج من اجله بمستشفى المجاذيب اكثر من مرة وقضى نحبه من آثاره والثلاثة الباقون لم تظهر عليهم علامات اى امراض عقلية اما الام السكيرة فاولادها يكونون ضعافا بسبب التسمم المزمن بالكحول ابان وجودهم بالرحم وتكثر فيهم الوفيات كما سنبينه وبقيت قواهم العقلية عرضة للتأثر السريع باقل مقدار من الكحول ويكثر بينهم عدد المجانين ولهذا قدمت الوزارة الانجليزية الى البرلمان مشروع قانون سيدرسه فى دور جلسات اوائل ١٩١٣ يقضى بمنع المرضى اومن بعقله دخل ذكرا اوانثى عن الزواج حتى لايخرج للامة جيشا من البله او المعتوهين محافظة على شعبهم من زيادة عدد المجانين بين ظهرانيه وخيرا فعلت الوزاره المذكورة بضربها بحجج المعترضين على ذلك عرض الحائط بقولهم ان فى ذلك اعتداء وحجراً على الحرية الشخصية لان الشرع والعقل يخول للجماعة اوللامة وقاية نفسها ممن يعملون على تخريبها والحاق الاذى بها من امثال حضرات السكيرين ومدمنى تعاطى المغيبات الاخرى .

من الناس من اعتاد احتساء الخمور يوميا حتى اصبحت له عادة انه لايستطيع ذوق لذة النوم قط الا اذا خرب ذرات مخه بمقادير من الكحول يضطر لزيادتها يوما عن يوم بسبب مقاومة الجسم وتسممه المزمن وهى حالة مؤلمة قدلاتفيدها المنومات العادية كثيرا ومايقاسيه صاحبها من الشقاء ونكد العيش يعتبر عقابا له على جريمته وللخمر على المجموع العصبى تأثير آخر لايظهر ضرره الاابان العلميات الجراحية (وكل انسان فى هذه الحياة عرضة لها) وهى الصدمة المخية الفجائية التى تصيبه اثناء تخديره بالكلوروفورم اوالاثير ولبيان ذلك اقول ان جماعة السكيرين يقاومون فعل المنوم طويلا فيزيد الطبيب المقدار كثيرا وهم يقاومون بكل شدة وماهى الالحظة حتى يراهم وقد انتقلوا فجأة الى دور التهيج الشديد ويقضى اكثرهم نحبه ابانه اذا لم يكن الطبيب حاذقا ومتيقظا متوقعا حدوث ذلك مستعدا لملاقاته وكل طبيب استعمل الكلوروفورم والاثير كثيرا يعرف خطر

هذا الموقف ويدرك فضل من لايقرب الخمر على السكير ويقر ان اكثر ضحايا العلاجين المذكورين هم جماعة عشاق بنت الحان المدمنون لرشف دم بنت العناقيد .ان القارى لكتب وظائف الاعضاء خصوصا تأليف العلامتين هاليرتون وشيفر بشان التجارب التى عملت بشان معرفة تأثير الكحول على الجسم بالنسبة للتعب من الاعمال والكلال من متابعتها تبين باجلى بيان ان السكير يكون انشط واشد ممن لايشرب الخمر عند مباشرة نفس العمل بيد ان الاول لايلبث الا قليلا حتى يلحقه الاعياء وتخور قواه بينما الثانى يستمر على عمله بكل ثبات وقوة حتى انه ليقوم فى وقت معين بضعف ماقام به السكير فى نفس الوقت دون ان يصاب بمثل تعبه وكذلك التجارب بشأن تأثير الجوع والظمأ وتحمل المسغبة فى السكير ومن يشرب الخمر اسفرت عن نفس النتيجة وبينت فضل الثانى على الاول ووضحت مضار الخمور بشكل جلى يطابق تجارب تأثير التعب على الاثنين.

بعد ان شرحنا تأثير الكحول على المجموعة العصبية نرجع القارئ الى تتبع المقدار الباقى فى الدم ليرى سلسلة تخريباته .اولا اغلب الكحول تحول الى حامض الخليك فحامض الكربونيك والماء وهذا طبعا يفرز مع البول بواسطة الكلى وبالطبع ان شدة الحموضة المتولدة عن احتراق الكحول يضعف قوة مقاومة الدم ويهيج الغشاء المخاطى لمجرى البول من الكلى فالحالبين فالمثانة فمجرى البول وبالطبع اذا اشتد التهيج يولد التهابا حاداً اومزمنا وكل انسان شاهد كثرة التبول الذى يصاب به السكير ومن اشتدت حموضة بوله اما ماتبقى من الكحول فيفرزه الجسم بواسطة الرئة ولهذا ترى نفس الثمل مشبعا برائحة الكحول التى تصبح كريهة بعد ان ازيلت عنها قشور الصبغات والمعطرات وافراز الكحول بواسطة الرئتين يهيج انساجها ويضعف مقاومتها للجراثيم واتساع اوعيتهما بسبب التهيج وسعى الجسم فى التخلص من آلام الكحول يسبب الارتشاحات بل والنزلات الشعبية الحادة والمزمنة وهناك داء آخر يصيب السكير اولا بسبب سرعة انتقاله من طقس شديد الحرارة الى برد قارس وثانيا لضعف رئته عن المقاومة وثالثا وجود الجراثيم المرضية فى المحال القذرة امثال المواخير ومنعكفات الازقة التى يرتطم فى الغالب السكير عندها وهذا المرض هو ذات الرئة الخطير العواقب

ان البعض يعلل شربه الخمور بان برودة الطقس هى السبب المجبر له على ذلك (هذا هو قول اخواننا الشرقيين الذين تفسدهم المدنية بمجرد نزوحهم عن ديارهم) ولكنهم مما تقدم راوا ان الكحول يعيق الاحتراقات من جهة ويكثر تشبع حرارة الجسم بالجو وانه عسر الاحتراق من جهة اخرى اى انه ينزل

درجة الحرارة ولذا استعمل فى الحميات وهى نتيجة تدحض دعواهم وخير لحضراتهم ان يتناولوا مقادير وافرة من المواد الدهنية والسكرية اذ بذلك يضمنون الحرارة المطلوبة ضد تمريض الجسم لمضار الكحول الفادحة ولنا اسوة حسنة باسكيمو وغيرهم من سكان الاقطار القطبية فهم يقاومون الطقس قبل كل شئ بالمواد الدهنية

يقول بعض الادعياء ان الكحول هو دائرة رحى المجتمعات ومجلبة السرور وانس للاخوان وان الضيافات او التروض بدونه كالطعام بلا ملح وهذا قول فاسد من اساسه ويا ليت شعرى كيف كانت اجتماعات الصحابة ومسلمى العصور الاولى وكيف هى مجتمعات من لايقربون الكحول بالشرق والغرب الا انها لاكثر لذة واجلب للسرور والانس من حفلات السكيرين اذ شتان ما بين اجتماع عقلاء يتجاذبون اطراف اشهى الموضوعات ويدلون الى بعض برائق الافكار وبديع المعلومات يعلوهم الوقار والعقل وترفرف عليهم اعلام الادب والاخاء والحكمة وبين اجتماع زمرة من السكيرين كلما اشتدت بهم نشوة الخمر صخبوا وهاجوا ورقصوا وربما رأيتهم وقد تطايرت منهم الكفوف وتقاذفوا بالزجاجات وتضاربوا بالكؤوس وكفى انهم ان لم يفعلوا ذلك يكون لهم لجب وصخب كعواء الكلاب ونقيق الضفادع يضحكون من لاشئ ويتكدرون لاقل شئ لايفقهون اقوالهم بل هم قطيع مجانين ثم لاتلبث حتى تراهم هذا يتخبط كمن به جنة او مس من الشيطان وذاك يخر كالمصروع وثالث يقئ ورابع يلوث المكان والاخوان بقاذوراته حتى يصبح هذا المجمع اقذر من المرابض ومن اضطبلات بهيمة الانعام وناهيك بما قد يرتكب فيه من المعاصى ويجترح فيه من الجنايات وتنتهك فيه من العروض فهل هذه الاشياء هى مدار الانشراح وسبب الانس والحبور ؟ هذا وليلاحظ القارئ التسممات الناجمة عن غشيان الخمور كما حدث فى برلين فى العام الماضى حيث ظهرت على عدد كبير من السكيرين اعراض تشابه اعراض الكوليرا ومات بعضهم فاهتمت الصحة ومازالت تنقب وتدرس حتى عرفت ان احد اصحاب الفنادق الكبيرة بالنظر الى اقتراب ايام عيد الميلاد غش خموره بكحول الميتيل لرخص ثمنه فكل من شربا ظهرت عليه هذه الاعراض وبما ان معمله هو اكبر معامل برلين فكبريات الفنادق والمطاعم اخذت منه مطلوبها وكانت نتيجة اجتماع السكيرين هلاك البعض ومرض الاخرين ورعب اهلهم هذا فضلا عن التسممات باملاح الرصاص والزرنيخ والانتيمون وغيرها مما يذيبه الكحول من الاوانى

التى يحتفظ بها وهو ماتشاهده فى كل وقت وحين فهل هذه لذة المجتمعات
فى عرفكم ياحضرات السكيرين ؟ اللهم انر بصائرهم واصلح طبائعهم الفاسدة .
يقول بعض مدمنى الخمور انهم يحتسون اقداح هذا السم لانه يقوى الباه ويزيد
للذة ويحسن خلقة النسل ويكثره وهى دعاو كاذبة تفسدها التجارب الثابتة
والحقائق المنطقية اولا كيف يزيد الكحول قوة الباه مع انه كما تقدم يخرب
خلايا الجسم ويضعفها ؟ ثانيا كيف يشعر ذلك الثمل الفاقد رشده بلذة اوعدمها ؟
اللهم ان النطفة قد يكون بها بعض الكحول فيولد حرارة وحرقة يتصورها
المخمورلذة ثالثا دعوى تحسين خلقة النسل وزيادته مكذوبة اولا لان نطفة السكير
قد تكون خلوا من الحيوانات المنوية اويكون بها كمية منها قد اضعفها الكحول
وثانيا ان التجارب التى قام بها الاستاذ استوكارد تثبت باجلى بيان كذب الدعوى
والى القارئ خلاصة ابحاثه :

اخذ ارانب الهند وصار ينشقها بخار الكحول ستة ايام فى الاسبوع حتى
ظهرت عليها علائم السكر فاخذ اربعين من اناثها وزاوجها بذكور لم ينشقها
بالكحول فخمس وعشرون منها لم تحمل او اجهضت فى الاسابيع الاولى وكانت
الامهات ماتجهضته من الاجنة .

والخمس عشرة الباقية وضعت ٢٥ ارنبا بدله سبعين (التى هى معدل نتاج
الخمس عشرة اذا لم تسمم بالكحول) وكانت نتيجة الخمسة وعشرين ارنبا المولودة
كالاتى ٢ نمت وكبرت — ٤ لاتزال صغيرة بيد انها يظهر عليها علائم الصحة
ساعة المعاينة — ٨ توفيت حال الولادة او بعدها ببضعة ايام — ٤ بقيت فى رحم
امها عند قتلها اثناء التجربة .

ثم اخذ اربعة وعشرين ذكرا سكيرا وزوجها باناث سكيرة فكانت النتيجة
كالآتى .

١٤ اجهضت فى الايام الاول من الحمل اولم تحمل بالمرة .
٥ ولدت ثمانية اموات .
٥ ولدت ١٢ مات منها ٧ بعدالولادة بقليل والخمسة الباقية عاشت واذا
ماعلمنا ان معدل ولادة انثى الارانب الطبيعية من ٤ — ٥ اى ان نتيجة ولادة
الاربع وعشرين السكيرة تساوى نتاج ارنبة واحدة طبيعية فما ابهرهذه النتيجة
وما اشدها تكذيبا لدعوى السكيرين

عرف العالم الغربى مضار الكحول فقام يحاربها رأفة بالانسانية بتحريم تعاطى

الخمور ففى انجلترا ممنوع بيعها لمن كانت سنه اقل من الثامنة عشرة وبالغ الرشد
لايسمح لصاحب الحان ان يسقيه اكثر من اربع اقداح فى المرة الواحدة وها هو
البرلمان سينظر فى جلسات هذا العام القانون القاضى بمنع زواج المصابين بامراض
عقلية وهم كما قدمنا اغلبهم من ضحايا الكحول اما فى فرنسا فقد قامت جمعية
الاتحاد الوطنى تعترض على تأجيل مجلس النواب فى فبراير الماضى القانون القاضى
بتحديد عدد المواخير ذلك القانون الذى سعت الامة فى اعداده منذ خمس عشرة
سنه وقالت فى نشرتها ان الندوة (الاكاديمى) الطبية فى سنه ١٩٠٣ وجميع
مجالس الولايات والتكايا ودور العجزة رأت الضرورة تحديد عدد اماكن بيع
الخمور صيانة للامه من سموم الكحول و طلبت الجمعية من النساء السعى للتأثير
فى الرجال و فى الرأى العام لايجاد تيار شديد و تقديم عريضة ممهور من اغلب
افراد الامه وخصوصا الامهات اللاتى يهملن سلامة اولادهن و اكدت الجمعية
ان الكحول هو من اهم اسباب تناقص النسل بفرنسا و من اشد الواجبات
المجاهدة ضده اما فى الدانمارك فقد سلكت الحكومة بها خطة معقولة اولا
تحديدها عدد اماكن بيع الخمور و ثانيا تحريم شربها على من كان دون سن
الرشد وثالثا بتشددها فى معاقبة السكيرين المعربدين لدرجة انها تعطى من
تكرر منه هذا الجرم ثلاث مرات ورقة صفراء تجبره على تعليقها فى صدره
حتى يراها كل انسان وبموجب هذه العلامة يرفض اصحاب المعامل استخدام
حامليها الاباجر اقل بكثير من امثالهم واباحت لزوج المدمن طلاقه اما فى ايطاليا
فقد اجتمع بفلورنسا فى ١٠ نوفمبر الماضى المؤتمر الوطنى لمحاربة الخمور فبحث
مضار الخمور بحثا دقيقا وقرر محاربتها مع ان الايطالى لايعتبر من المدمنين لانه
يشرب فى السنة ٨٥ لترا من الخمور بينما الفرنسى يحتسى ١٦٣ والبلجيكى يكرع
٢٢٥ اما اهم الطرق التى قررها المؤتمر المذكور فتنحصر فى تشويق المزارعين
لاستبدال الكروم بغيرها من المزروعات النافعة وثانيا مضاعفة الضرائب على
مصانع الخمور وثالثا زيادة ضرائب الحانات لبضع سنوات و رابعا قر المجلس على
اقتراح المحامى روسادى القائل باعتبار السكر جريمة والقاء القبض على السكير
وزجه فى السجن حالا مبررا اقتراحه بان قدماء اليونان كانت تعاقب السكير اذا ما اجرم
مرتين واحدة عقابا على نفس الجرم والثانية على سكره ولقد بلغ من تشدد بعض
مقاطعات الولايات المتحدة ان منعت استعمال الكحول من الداخل حتى بصورة

علاج ولذا قررت الاستعاضة عن خلاصات وصبغات بعض العقاقير التى تستخرج بواسطة الكحول بغلى او منقوع العقاقير المذكورة واخذت تضيف الى الكحول العادى بعض صبغات الانلين السمية منعا للناس عن احتسائه ولقد عاب البعض هذا التشدد ولكنها مع اعترافها بفوائد الخلاصات والصبغات بل و نفس الكحول اذا ماوصف بواسطة الطبيب بمقادير قليلة فى حالات معينة ترى ان اثمه اكبر من فائدته كما يقول القرآن العظيم ولهذا تحرمه تماما اى انها تتبع نص ديننا الحنيف

هذه ايها القارئ اعمال ومجهودات حكومات وامم الغرب التى ليس من اوامر دينها تحريم الخمور فماذا عملت الحكومات الاسلامية لمحاربة هذا الداء العضال ؟ الخمور المغشوشة السامة تباع بازهد الاثمان وفى القرى والدساكر حتى فى الحوانيت التى لم تأخذ رخصة ببيعه ولم نر الحكومة تفتش على المصانع وتثقل كاهل اربابها وحانات الخمور بفادح الضرائب ان لم تتمكن من منعها بتاتا ولم نر من علمائنا من يقوم مثل رئيس اساقفة انجلترا منددا شاربى الخمور مفرطا فى شرح مضارها ومن الخجل ان نرى المتعلمين يعتبرون احتساء هذا السم من علائم المدنية ولم نر محاكمنا تنفذ الاحكام الشرعية على السكير ولا المجالس النيابية تسن اللوائح النافعة فى هذا الباب كما يفعل الغربيون فيالله من هذا التأخير ويا اسفاه علينا من جراء هجرنا اوامر ديننا الحنيف .

اذا كانت الامة العربية عند ظهور الاسلام قد كبحت شهواتها و تغلبت على اهوائها وهى البدوية الجاهلة يومئذ فامتنعت عن شرب الخمور فى بحر اربع سنوات تدريجيا فهل لنا اليوم ونحن ندعى التمدين والعقل ونصف انفسنا بالتفقه والحكمة ان نجاريها فى هذا الباب بعد ان تبينت لنا مضار الكحول الجسيمة ان سنة واحدة كافية لترك السكير الخمر تدريجيا لوكان شديد العزيمة حديدى الارادة واربع سنوات كافية لكل انسان مهما بلغ ضعف ارادته وما هى الا همة تبذلها الحكومة وحركة تقوم بها الفئة المتعلمة وجماعة الشيوخ حتى تقف هذا العدو عند حده ولنا من الرياضة البدنية واكل المواد السكرية خصوصا العسل الاسود وخلاصة المالتين فى الاوقات التى كان من عادة السكير احتساء الخمور فيها خير معين على قطع دابره فهل تنال هذه البغية حتى نوفق الى المحافظة على انفسنا واولادنا باتباعنا اوامر الدين الحنيف وهل لايعتبر من اقطع الاداة على

صدق القرآن ان احكامه المنزلة على النبى الامى صلى الله عليه و سلم تطابق تماما احدث واصدق ابحاث العلوم الحديثة فى القرن العشرين فلنحمد الله الذى هدانا بفضل هذا الدين المبين فلنتبع احكامه بكل دقة والسلام على من استمع القول فاتبع احسنه .

احمد فؤاد

(اسئلة واجوبتها)

حضرة الاستاذ منشئ مجلة الهداية الغراء

نرجو منكم ان تنشروا فى مجلتكم جواب الاسئلة الآتية

(١) متى كان تحريم الخمر وهل وقع التحريم تدريجيا ام دفعة

(٢) ماهى ليلة القدر وما المقصود من التماسها فى اوقات مخصوصة

محمد عبد الكريم

الهداية (١) — قد روى فى بيان وقت تحريمها روايات عدة سردها اصحاب الحديث ببعض ترجيح وامثل آرائهم ما جاء فى شرح الزرقانى[١] لموطأ الامام مالك رحمه الله اذ قال وروى اصحاب السنن عن عمر انه قال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت آية ـ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ـ فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت آية ـ لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى ـ فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت آية

(١) جزء رابع صفحة ٢٩

المائدة وهى قوله تعالى ـ انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ـ قال عمر انتهينا .

قال الزرقانى و بحديث عمر قد يجمع بين الاقوال الثلاثة باحتمال ان كل مرة كانت فى سنة من السنين التى جاءت فى تلك الاقوال وهى السنة الرابعة والسنة السادسة والسنة الثامنه اه

ونحن نقول ان تحريم الخمر لاشك وقع تدريجيا لان العرب فى الجاهلية كانوا يألفونها ألفة لايسهل معها اقلاعهم عنها اذا حرمت لاول وهلة . والذى يؤخذ من العبارة السابقة ان الآيات الثلاث نزلت فيما بين السنة الرابعة بعد الهجرة والسنة الثامنة منها . وقد اثبت علماء الحديث ان آية المائدة نزلت قبل فتح مكة . ومن هذا يفهم ان مابين آية البقرة (الاولى) وآية المائدة التحريمية (الاخيرة) يكاد يكون ثلاث سنوات اوتزيد شيئا قليلا فان فتح مكة وقع فى شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة النبويه.

الجواب (٢) — كثرت اقوال المفسرين فى شرح ليلة القدر وخواصها ومايجب ان يعمل فيها و سردوا من الاحاديث مالا يكاد يصح منه فى هذا الباب شئ (١) والذى نراه ان ليلة القدر هى ليلة الضيق التى نزل فيها الوحى على المصطفى وهو يتعبد فى غار حراء على نحو قوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه) اى ضيق عليه رزقه . قال هشام بن الكلبى (٢).

(١) قدسرد ابن كثير احاديث الباب وبين مافيها من غرابة اونكارة اوضعف او اضطراب فارجع الى الصحيفة ٢٥٢ و ماتليها من الجزء العاشر من النسخة المطبوعة بحاشية فتح البيان .

(٢) راجع الجزء الثانى من تاريخ الكامل لابن الاثير صفحة ١٧

اتى جبريل النبى اول ماأتاه ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين .

وإذا كانت هاتان الليلتان او احداهما كما هو راى بعضهم مظهر ذلك النور القدسى و مهبط تلك الشريعة السمحة كان حقا على المؤمنين احياؤها بالقيام و ترتيل ذلك الفرقان الذى نزلت اولى آياته بها ليخرج الناس من الظلمات الى النور و ليبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم . ولاجرم ان ليلة تكون بعناية الله بالبشر مبدأ تلك الآيات الباهرة والاحكام الكفيلة لسعادة من يتمسك بها جديرة ان تكون خيرا من الف شهر . ولم يكن تعيين هذا العدد قصدا الى الحصر اواشارة الى مدة دولة بنى امية اونحوها مما اسرف المفسرون فى بيانه وافاضوا فى تفصيل هذيانه وانما هى سنة القرآن المجيد فى سلوكه طريقة العرب اذ ذاك فقد كانوا يذكرون الالف والآلاف و هم لايعنون مقاديرها وانما يقصدون المبالغة والكثرة .

و من شاء ان يعرف مبلغ الضيق الذى اصاب المصطفى الكريم فى اول بدء الوحى فقد روى المحدثون عن عائشة قالت كان اول ماابتدئ به الرسول من الوحى الرؤيا الصالحة كانت تجئ مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان بغار حراء يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ثم يرجع الى اهله فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق فأتاه جبريل فقال يا محمد انت رسول الله قال فجثوت لركبتى ثم رجعت ترجف بوادرى فدخلت

على خديجة فقلت زملونى زملونى ثم ذهب عنى الروع ثم اتانى فقال يا محمد انت رسول الله قال فلقد هممت ان اطرح نفسى من حالق فتبدى لى حين هممت بذلك فقال يا محمد انا جبريل وانت رسول الله ثم قال اقرأ قلت وما اقرأ قال فاخذنى فغطنى ثلاث مرات حتى بلغ منى الجهد (الحديث) .

ومن هذا الحديث واشباهه المتواترة يتبين ان ليلة بدء الوحى كانت ليلة القدر والضيق الشديد على الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد نوه الكتاب الكريم بشأن هذه الليلة وضحوة غدها اذ اقسم بهما رادا على من قالوا تشفيا او أسفا ان رب محمد ودعه و قلاه فقال (والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك و ماقلى)

حضرة الاستاذ مدير الهداية (سؤال)

اختلف رجلان فيما تكثر روايته من قولهم (اترك الترك ماتركوك) أحديث صحيح ام من العبارات الشائعة على الالسنة فنرجو من فضيلتكم البيان .

مشترك

(الهداية) الحديث المتقدم موضوع آفته مسلمة قال ابن حبان ومسلمة هذا يضع الحديث .

(طرابلس الغرب)

(العالم الاسلامى)

عرف العالم الاسلامى مآل الاتفاق الذى ابرم بين ايطاليا و بين الدولة العثمانية فى المسألة الطرابلسية كما عرفوا نصوص الاوامر العالية

التى اصدرتها الدولة العلية بمنح طرابلس و بنى غازى الاستقلال الادارى وتعيين نائب عن السلطان فى طرابلس الغرب يمثل جلالته فيحافظ على تلك المقاطعات الافريقية (١)

يسمى الفرمان السلطانى ذلك (مختارية طرابلس و بنى غازى) وفسرت هذه المختارية فى المادة الثالثة من ذلك الفرمان كما يأتى:

تدار مقاطعات طرابلس و بنى غازى بالقوانين الجديدة والنظامات المخصوصة الموافقة لاحتياجات البلاد و عاداتها ولاجل تأمين ذلك تطلب معاونة الاهلين فى اثناء وضع تلك القوانين والنظامات بناء على الوصايا والاشعارات

ان هذه المادة على مجيئها فى معرض تفسير الاستقلال الداخلى لمقاطعتى طرابلس وبنى غازى لم تبين لنا مديرها ولا من الذى سيشارك اهليهما فى وضع القوانين والنظامات اهو نائب السلطان ام غيره ؟ بيد ان المادة الثالثة تدل بعض الدلالة من طرف خفى على ان نائب السلطان هو الذى سيكون واليا لادارة تينكم المقاطعتين .

نترك البحث فى نص الفرمان السلطانى و مغزى عبارته الى النظر فى قانون ايطاليا فى طرابلس الغرب المنشور فى الجريدة الايطالية الرسمية فان فى عباراته مايضارب عبارة ذلك الفرمان وينطق صراحة بان ايطاليا اصبحت صاحبة الامر والنهى فى تلك الارض وليفهم القراء معنى الاتفاق العثمانى الايطالى فى طرابلس يكفى ان تقتطف المادة الثالثة

(١) راجع المادة الثالثة من الفرمان السلطانى

من ذلك القانون وهى كما يلى : المادة الثالثة ان المأمور المخصوص الذى يعين من قبل السلطان انما هو مأمور بالمحافظة على المنافع العثمانية وحقوق العثمانيين . والعثمانيون هم الذين يقيمون فى ولاية طرابلس الغرب بعد اعلان حاكمية ايطاليا فى ٢٥ كانون الثانى سنة ١٩١٢

فهذه العبارة صريحة فى ان طرابلس و بنى غازى اصبحتا ايطاليتين وان سكانهما من رعايا حكومة ايطاليا ليس لاحد التداخل فى شئونهم وما ممثل السلطان هناك الا سفير للدولة العثمانية لاعلاقة له الا بالعثمانيين الذين يقيمون فى تلك البلاد بعد اعلان تلك الحاكمية الايطالية .

فلنترك الآن البحث فيما كان من الاتفاق و مواده ولنكف عن الخوض فى هل كان من الضرورى عقد تلك المصالحة والبحث فى امر تعيين المسئول عن ضياع تلك البقعة الوحيدة التى كانت للعالم الاسلامى بافريقية كالحنجرة للانسان يتنفس منها . نترك الخوض فى جميع ذلك الآن مكتفين ببيان مايجب على العالم الاسلامى بعد ان قطعت الدولة لامرما صلتها بالعرب المجاهدين فى تلك الديار النائية و بعد ان اعترفت انجلترا وفرانسا و المانيا وغيرهن بامتلاك ايطاليا لتلك البلاد الاسلامية

من المعلوم ان اهل طرابلس اصبحوا بعد عقد الصلح افريقيين منهم من اسلم نفسه لايطاليا ورضى برعايتها وحكمها و هم سائر من يقطنون دون الجبل الغربى فاما الفريق الثانى فهم سكان الجبل الغربى وما وراءه من الجنوب و زعيم هؤلاء الشيخ سليمان البارونى ذلك

المسلم الغيور المقدام . وهؤلاء قدبايعوا الله تعالى على الموت فى سبيل حماية دينهم وبلادهم دون كل طامع .

اما فى ولاية بنى غازى فان جميع اهليها ماعدا سكان مدينتى بنى غازى ودرنه فانهم تبايعوا على الدفاع عن بلادهم واصروا على الحرب مهما حملتهم من الارواح والمال . هذه هى الحالة الحاضرة لمن يريد ان يتدبر الامر و يفكر فيما يجب عمله ازاء تلك الاراضى الاسلامية التى دخلت فى حوزة الصليب بسبب غفلة حكامها وجهل اهليها . و لقد شعر البطل العظيم انور بك القائد العام لجيوش بنى غازى بهذه العاقبة المؤلمة فكتب الى رسالة بتاريخ ١٠ ايلول سنة ١٣٢٨ رومية يدعونى بها الى السعى وراء حث المسلمين على مداومة الاكتتاب بالمال فى سبيل اعانة مجاهدى افريقية هذا نصه

من مركز الجيش العمومى بعين المنصورة

عزيزى عبد العزيز جاويش

يفهم من طرز جريان المذاكرات الصلحية كما تفهمون حضرتكم ايضاً ان الحكومة متهافتة على الصلح على اى حال. وبالطبع حيثما يجرى الصلح تنقطع معاونة الدولة عنا ومعلوم ان من الشين والمعرة على جميع العالم الاسلامى تسليم هذه الاماكن التى دافع عنهارجالها دفاع الابطال الى ايطاليا بلا سبب سوى قلة المال و بناءً على ذلك يجب السعى على كل حال فى جمع الاعانة و ارسالها من الآن الى حضرة دولتلو عمر

طوسون باشا (بالاسكندرية بمصر) حتى يكون لدينا مقدار كاف من الاموال احتياطاً و فى الختام اعرض لفضيلتكم و جميع الاحباء سلامى واحترامى

القائد العام للجيش ببنغازى

انور

من هذا يتبين للعالم الاسلامى انهم هم المسئولون اليوم عن صيانة تلك النفوس العالية التى اذا قت على قلتها احدى الدول العظمى العذاب والنكال اكثر من اربعة عشر شهرا والتى ستذيقها فى المستقبل اكثر وامر مما ذاقت

فعلى الشعوب الاسلامية فى اطراف الارض ان يؤلفوا لهذا الغرض السامى اللجان الخيرية وان يبايعوا الله على امداد اولئك المجاهدين بالمال ماداموا واقفين ارواحهم على حماية دينهم واوطانهم .

ولقد اخذ بعض المرجفين يخلق الشبهات والظنون السيئه لعودة انور بك من تلك الارض وماهم الا مبطلون . ذلك ان انور بك كما هو معروف بديهى رجل الاسلام ومجدد مجده فى هذه الايام . ولاريبة لاحد فى ذلك الرجل العظيم وكان خيرا ان يترووا و يتمهلوا حتى يعلموا سبب عودته وهل كان مجيئه بعلم سيدى السنوسى اوخلسة وهل هوعائد لاستئناف جهاده العظيم بعد ان تضع حروب البلقان اوزارها

قرأنا ما كتب فى صدد دعوة انوربك فجعلنا ننتظر مقدمه كيما نسأله رأيه فى ذلك . و قدكان مارجوناه فلقد قابلناه فى منزله ثم جرى بنا

الحديث حول عودته واسبابها وهلم جراوهنا نقتطف للقراء نص بعض عباراته اذ يقول انى اسست دوام المقاومة ببنغازى الى الابد وكذلك توفقت للاتيان متنكراً بسرعة الى مركز الخلافة لاجل منافع مهمة تتعلق بالملة الاسلامية العثمانية . وكذلك تركت بنغازى من اجل مسئلة عظيمة معلومة لدى السيد احمد الشريف السنوسى و لا استطيع ان ابوح لكم ببعض التفصيلات فى شأن هذا السبب المظيم ملاحظة للمنافع الاسلامية . نصر الله الاسلام و وفق المسلمين فى كل بقعة من الاوطان اما الجرائد التى كالمؤيد وامثاله فسيصيرون خجلين ونادمين على الافترآات التى درجوها حينما يعرفون الاسباب الحقيقيه لسياحتى .

س ـ ثم سألته هل تعودون الى بنغازى ؟ فقال :

ح ـ اما الآن فانا جندى بالمعسكر العثمانى متبع كل اوامر الحكومة واما عند اللزوم فاقدم استعفائى من سلك الجندية فاصبح حراوعندذلك احمل كل المسئولية على شخصى وعاتقى باعتبار كونى عثمانياً حراً واخدم ملتى ودينى باى محل اردت فعلى العالم الاسلامى جميعه ان يؤلف اللجان ويجمع المال حتى يتمكن أولئك المجاهدون الابطال من مقاومة حكومة الطليان الصليبية التى تريد الاشتراك مع دول اوربا الاخرى فى محو معالم الاسلام من افريقية و ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

—{ مؤتمرا لوندره }—

بينما كانت المعارك دائرة حول شاتلجه فى شهر نوفمبر اراد كامل باشا الصدر الاعظم الحالى ان يدخل مع الحكومات المتحاربة فى مخابرات مؤدية الى الصلح فدارت المخابرات الابتدائية بين ناظم باشا وبعض المندوبين العثمانيين من جهة

ومندوبى الحكومات البلقانية المتحدة من جهة اخرى فى قرية باغچه كوى للاتفاق على وضع شروط المهادنة اللازمة لاجل الشروع فى مخابرات الصلح فتم الاتفاق على الهدنة .

و فى الحقيقة ان الهدنة كانت ضرورية للجنود البلغاريين اكثر مما كانت ضرورية لجنودنا بالنظر لابتعاد البلغاريين جداً عن بلادهم ومركز حركاتهم الحربية و خطوط مواصلتهم ولان الامراض والاوبئة كانت قدتفشت فيهم بدرجة لاتحتمل ولان اسطولنا ابلى فى جناحيهم من جهتى ترقوس وبيوك شاكمجه ابلاء حسنا فضلاً عن استطالة الشراكسة واللاظ والاكراد على القلب و قتلهم آلافاً من البلغاريين ولهذا لم يتأخر البلغاريون عن التساهل نوعاًما فى شروط الهدنة.

واختارت الحكومات البلقانية المتحدة لوندره مركزاً للمفاوضات فعقد فيها المؤتمر وذهب مندوبو الحكومات الخمس اليها مفوضين من قبل حكوماتهم .

وفى هذه الاثناء كانت مقدونيا والبانيا محتلتين بالجنود البلغارية والصربية والجبلية واليونانية فرأت الدول الاوربية ولاسيما دولتا النمسا و ايطاليا عقد مؤتمر من سفراء الدول الست الكبرى ليقرر حالة لالبانيا وليضع مبادئ تسير بموجبها الحكومات البلقانية والحكومة العثمانية فى مفاوضات الصلح .

واول واهم ماقرره مؤتمر السفراء الذى عقد بلوندره ايضا اثناء انعقاد مؤتمر الصلح اعطاء البانيا استقلالاً داخليا تاما و جعل احد الثغور المشرفة على الادرياتيك دولياً و ايصال سكة حديدية اليه من الحدود الصربيه ليكون هذا الثغر الحر منفذاً للمتاجر والمصنوعات الصربية على ان تكون هذه السكة الحديدية دولية ايضا .

اما مؤتمر الصلح فقد كانت اولى جلساته مختصة بعرض اوراق الانتداب فابى المندوبون العثمانيون قبول المفوضين اليونانيين فى المؤتمر لان اليونان لم تقبل المهادنة فاحتج مندوبو البلقان بان المفاوضات كانت دائرة بين المندوبين العثمانيين والايطاليين مع عدم انقطاع المحاربة بين الدولتين فأوضح المندوبون العثمانيون ان تلك المفاوضات لم تكن رسمية ولم يعقد لها مؤتمر وانما سارت بطريقة خاصة ادت الى عقد الصلح النهائى بين الطرفين فليس هنالك شبه بين الحالتين فاصر المندوبون البلقانيون على عدم الدخول فى المخابرات الا اذا كان المندوبون اليونانيون مشتركين فى المؤتمر . فرفع المفوضون العثمانيون الامر الى الباب العالى فحسم كامل باشا الاشكال باجابة الحكومات البلقانية الى تحكمها .

ثم درات المباحثات حول الموضوعات التى يجب الخوض فيها للوصول الى الصلح فكان هم البلقانيين الحصول على مقدونيا وعلى ولاية ادرنه وابقاء مايلى نهر التراس الى شبه جزيرة غاليبولى للحكومة العثمانية والاستيلاء على جزر الارخبيل باسرها .

اما العثمانيون فاظهروا الرغبة فى منح ارض من ولاية ادرنه مع بعض الجزائر المجاورات للشاطئ الاسيوى والكائنة على مدخل الدردنيل. وهنا اشتد الخلاف بشان مدينة ادرنه لانها فى الحقيقة ذات معقل منيع وهى قلعة مرعش ولاسيما لان حاميتها قداظهرت من الشهامة والبلاء الحسن فى الدفاع ماليس يمحى من التاريخ العثمانى ابدالدهر .

وفى هذه الاثناء طرأ على الحكومة العثمانية طارئ جديد جعلها تشعر بقوة جيشها الرابض فى شاتلجه واستعداده لاتخاذ خطة الهجوم لا الاكتفاء بخطة الدفاع. فارسلت تعليمات جديدة الى المفوضين العثمانيين تقضى بعدم التنازل عن شئ من اراضى ولاية ادرنه للبلغار بل الاقتصار على تعديل الحدود بما يضمن بتاتا انقطاع المشاكل والخصومات فى المستقبل واخراج المناقشة فى امر الجزر من موضوعات المؤتمر لان جزر الارخبيل ليست من الاراضى البلقانية وهى فضلاً عن هذا السبب معتبرة من الاراضى العثمانية الاسيوية فلا دخل لها فى المنازعات الاوربية .فلما احتج المندوبون البلقانيون على هذا التطور الجديد الذى طرأ على سير المفاوضات قال المندوبون العثمانيون ان الدولة العثمانية انما تعمل وفق رغائب الحكومات البلقانية والدول و بما ان تلك الرغائب كانت متجهة الى ادخال اصلاحات فى الروم ايلى فقد قبلت الدولة العثمانية ادخال اوسع الاصلاحات وانجعها فى مقدونيا والبانيا بمنحهما الاستقلال الداخلى التام . فدارت المناقشات بشدة بين الطرفين و قال المفوضون البلغاريون ان المندوبين العثمانيين لم يراعوا حالة الحرب و مركز الحكومة العثمانية الحاضرة وعلى ذلك طلب البلقانيون من العثمانيين عرض شروطا اخرى اكثر تساهلاً واقرب تناولاً غير انهم حينما آنسوا من الحكومة العثمانية الاصرار على ماقررته قدموا انذاراً كتابيافى يوم ٣ يناير الجارى للمندوبين العثمانيين بان المخابرات تنقطع اذا لم تعرض شروط اخرى تقضى بالتخلى عن مدينة ادرنه و عن جزر بحر سفيد بما فيها كريت بلا قيد و شرط و ضربوا موعداً للجواب الساعة الرابعة بعد يوم الاثنين ٦ يناير غير ان المندوبين العثمانيين اجابوا بانهم لايقدمون الجواب فى اليوم التالى . وكان جواب الباب العالى الاصرار على شروطه وارسل منشوراً الى سفراء العثمانيين لدى الدول الاوربية الكبرى يخبرهم فيه ان يشعروا هذه الدول بان الحكومة العثمانية قدفعلت كل مافى وسعها لابرام الصلح غير ان الحكومات البلقانية اصرت على مطالبها التى لايمكن قبولها ابداً .

وفى يوم الاثنين اجتمع المندوبون العثمانيون بالمندوبين البلقانيين وافهموهم
ان الدولة العلية لن تتنازل عن ولاية ادرنه ولا عن جزر الارخبيل وكل مافى
استطاعتها تنازلها عن كريت وعن الأراضى الواقعة غرب ولاية ادرنه وان
العلاقات والمفاوضات ستنقطع اذا اصرا المندوبون البلقانيون على مطالب حكوماتهم.
فتشاور المندوبون البلقانيون فيما بينهم وقر اخيراً قرارهم على قطع المفاوضات.
وعلى ذلك فان الحرب ستعود ثانية اذا لم تتداخل الدول الاوربية و تداخلهن
بصفة فعالة مستبعد الآن .

—{ جمعية التربية الاسلامية }—

قدم دار السعادة منذ شهرين تقريبا ذلك المسلم الغيور محمد شريعى باشا
موفدا من قبل جمعية الهلال الاحمر المصرى .

وبعد ان قضى بضعة ايام اخذ يفكر فيما فيه المسلمون من الشقاء فلما ايقن ان
مبعث هذه الحالة السيئة ومنشأ ذلك المستقبل المروع ماعليه المسلمون من الجهالة
المطبقة والاعراض عن الصناعات والحرف والتجرد من الاخلاق الدينية الفاضلة
تحركة الغيرة الملية والحمية الاسلامية لايجاد نهضة علمية عملية بين الشعوب الاسلامية
لاسيما العثمانية يكون اساسها الاسلام الصحيح و طلب الاستقلال الاقتصادى
والصناعى اللذين هما دعامتا الاستقلال الاقتصادى والصناعى اللذين هما دعامتا
الاستقلال السياسى وركنا حياة العالم الاسلامى وقد دعا لذلك عدة من انجب رجال
الامة العثمانية جمعت التركى والعربى والجركسى كما جمعت بين افراد من مختلف الاحزاب
السياسية رجاء ان يوفق الله بعضهم و رغبة فى أن يكون هذا العمل فاتحة التأليف بين
المختلفين حتى يعمل جميع افراد المسلمين على اسعاد حالهم و اصلاح شئونهم
واعلاء منزلتهم العلميه والاقتصادية حتى ينافسوا غيرهم من الامم فى مضمار الحياة الصحيحة .

وقد توج هذا المشروع الجديد العظيم برياسة سمو الامير يوسف عز الدين
افندى ولى عهد السلطنة كما وضع بالفعل قانون نظامها كتب الله النجاح آمين آمين.

—{ اعانة مهاجرى روم ايلى }—

تمت اعمال اللجنة المؤلفة من دولة الامير سعيد حليم باشا رئيسا وحضرات
محمد شريعى باشا و محمد زكى بك واسمعيل حقى بك لتوزيع اعانة الامة المصرية
فبلغ ما انفق ٢٣٠٠٠ ليره انكليزية قدمتها الامة المصرية لتخفيف ويلات اخوانها
مهاجرى الرومللى .